مجلة كل العرب



العدد ٣٧
يوليو ٢٠٢٦
السنة الرابعة

رئيس التحرير
عيد وحيده
رئيس القسم الليبي
خالد سليمان الزغيبي
رئيس مجلس الإدارة
عصمت ضيف الله الملهطاني



وداعا أيها النبيل

المحافظ على القيم البدوية

الفنان الكبير

عبد العزيز مخيون

عبد العزيز مخيون

سيرة فنان مثقف حافظ على قِيَمه فأحبه الجميع



عبد العزيز مخيون .. كيف استطاع هذا الرجل أن يمتلك قلوب الناس حتى أن رحيله أثار ضجة كبيرة في الأوساط الشعبية والفنية والثقافية ؟! هناك أسرار في شخصية الأستاذ الفنان المثقف عبد العزيز مخيون ربما لا يعلمها إلا الذين التقوا به وجهاً لوجه أو تعاملوا معه عن قرب ..

من حسن حظي أنني من الأشخاص الذين تعاملوا مع هذا الرجل ،و لإدراكي بما لمسته في شخصيته من محاسن ، فلم تصبني الدهشة من القدر العظيم من الحزن لفراقة الذي أظهره الناس ، سواء من يعرفه ومن لم يعرفه ..

• عبد العزيز مخيون الإنسان

كان أول لقاء بيني وبين الأستاذ عبد العزيز في بيته في (أبو حمص) وأنا في العشرينات ، في البدء لم أكن أتخيله سوى فنانا مشهورا ذاع صيته نتيجة أدواره الفنية ، غير أني فوجئت بشخصية راقية مهذبة أضاءت وجه الفنانين كلهم ، كان مدهشا بالنسبة لي فهو مثقف شامل ، ملما بالأدب والشعر والتاريخ والعلوم ، كان مهذبا في حديثه ، راقيا في تواضعه ، له صوت مميز وقور ، شبهته بصوت الأستاذ محمد عبد الوهاب ، متأن في حديثه غير مندفع . تحدثنا كثيرا ، فاستحسن حديثي ، وكان مما نصحني به قراءة كتاب (الأغاني للأصفهاني) وبعض الكتب ، وانتهى لقاءنا بتواعد بيننا في القاهرة .

استمر تواصلتا في القاهرة ، وكان مما أدهشني في شخصيته تواضعه الشديد ، وتلقائيته في التعامل معي ، كان يشعرني أننا أصدقاء ، هذا الأحساس منحنى طاقة هائلة واعتزاز بالذات في ذلك الوقت ، وأشعرني بالإمتنان الشديد له .

ما اكتشفته فيما بعد ؛ أن الرجل لم يكن يختصني أنا فقط بهذه المعاملة و الاحتضان، ولكن تلك هي طبائعه مع كل الناس ، وهذا ما جعل كل الناس بجميع فئاتهم - سواء في محافظته البحيرة أو في القاهرة - يحبونه .

كان شخصية شاملة ، لم يكن ممثلاً أو فنانا فقط ، كان موسيقيا وشاعرا أديبا وله في الفلسفة والسياسة ، وعلاقاته لم تكن تنحصر في الوسط الفني فقط ، بل كان له أصدقاء إعلاميين وصحافيين كبار وأيضاً سياسيين .

كان بارعا في اختيار الأدوار التي تليق به ، وتليق بقيمه ومبادئه كرجل ينتمي الى قبيلة عربية لها تقاليد وأصول ، لم ينزلق في مجتمع يغري للإنزلاق بل يجبر عليه ، كان ثابتا قوياً ، من إجل ذلك نال احترام وتقدير الجميع .

السيرة الذاتية

وُلد عبد العزيز مخيون في ٢٥ فبراير ١٩٤٦ في مدينة أبو حمص بمحافظة البحيرة. نشأ في بيئة ريفية ، وهذا الأصل الشعبي انعكس على أدواره الفنية طوال حياته، حيث اختار دائماً الأدوار التي تعكس هموم الإنسان البسيط والعامل والفلاح المصري.

التحصيل العلمي: تخرج مخيون من المعهد العالي للفنون المسرحية، ثم درس الموسيقى والتمثيل. حصل على منحة حكومية لدراسة المسرح في فرنسا، حيث تعمق في دراسة فنون التمثيل والإخراج المسرحي الأوروبي.

بدأ مشواره الفني عام ١٩٥٨ بعد تخرجه مباشرة، حيث التحق بفرقة التلفزيون المسرحية. لم يكتفِ بالتمثيل، بل أسس مسرح الفلاحين الذي أصبح منصة لتقديم أعمال مسرحية تعكس قضايا الطبقات الشعبية. عمل كمخرج مسرحي بارع، وترك بصمته على المسرح المصري من خلال رؤيته الفنية الفريدة.

محطات من المسيرة الفنية

١٩٥٨: بدء المسيرة الفنية والالتحاق بفرقة التلفزيون المسرحية

١٩٦٠ - ١٩٧٠: فترة ذهبية في المسرح المصري، تأسيس مسرح الفلاحين والعمل كمخرج مسرحي

١٩٧٥: ظهوره في فيلم "الكرنك" الذي يعتبر من أهم أعماله السينمائية

١٩٨٧-١٩٨٩: تجسيده الخالد لشخصية طه السماحي في المسلسل الشهير "ليالي الحلمية"

١٩٩٩: تمثيله دور موسيقار الأجيال محمد عبدالوهاب في مسلسل "أم كلثوم"

٢٠٠٠ - ٢٠٢٠: استمراره في العطاء الفني مع أدوار متنوعة في السينما والتلفزيون



الأدوار الخالدة

"جعل من الصمت أداءً، ومن البساطة مدرسة فنية"

اشتهر عبد العزيز مخيون بقدرته على تجسيد الشخصيات بعمق وإنسانية. كان معروفاً بأسلوبه الفني الفريد الذي يجمع بين البساطة والعمق، والصمت والتعبير. من أشهر أدواره:

طه السماحي في مسلسل "ليالي الحلمية" - يعتبر هذا الدور من أهم أدواره، حيث جسد شخصية الرائد البطل بكل براعة وإتقان، وأصبح رمزاً للنضال والشرف.

محمد عبدالوهاب في مسلسل "أم كلثوم" - قدم تجسيداً استثنائياً لموسيقار الأجيال، وأظهر التفاصيل الدقيقة في شخصية الموسيقار العظيم.

كما قدم أدواراً متنوعة في أفلام عديدة مثل "الكرنك" و"الهروب" و"دم الغزال" و"خارج على القانون" وغيرها، حيث اختار دائماً الأدوار التي تحمل رسالة إنسانية وتعكس الواقع المصري.

الإرث والتأثير

ترك عبد العزيز مخيون بصمة عميقة على الفن المصري والعربي. كان فناناً مثقفاً، يؤمن برسالة الفن وقيمته في تغيير المجتمع. اختار دائماً الأدوار التي تخدم قضايا إنسانية وتعكس الواقع الشعبي، بدلاً من السعي للشهرة والمكسب المادي.

الإرث الفني: قدم أكثر من ١٠٠ عمل سينمائي وتلفزيوني، وعشرات الأعمال المسرحية. كل عمل يحمل بصمته الفريدة وأسلوبه المميز في التمثيل والإخراج.

كان مخيون رمزاً للفنان الملتزم بقضايا شعبه، والمثقف الذي يستخدم فنه كأداة للتعبير عن الحقائق الاجتماعية والسياسية. تأثر بأسلوبه الفريد أجيال من الممثلين والمخرجين المصريين. كان له دور بارز في حركة كفاية المعارضة، مما يعكس التزامه بقضايا الحرية والديمقراطية. لم يكن ممثلاً فقط، بل كان فناناً مثقفاً ومفكراً اجتماعياً

الوفاة

توفي الفنان المصري الكبير عبد العزيز مخيون يوم الأربعاء ١٠ يونيو ٢٠٢٦ عن عمر ناهز ٨٠ عاماً، بعد صراع مع الالتهاب الرئوي. ترك خلفه إرثاً فنياً عظيماً امتد لأكثر من ستة عقود من العطاء والإبداع .



كان مخيون فناناً بالمعنى الحقيقي للكلمة - لم يكن يسعى للشهرة والمال، بل كان يبحث عن الحقيقة والجمال في كل دور يقدمه. اختار الأدوار التي تعبر عن الإنسان البسيط، والقضايا الاجتماعية والسياسية الكبرى.
نسأل الله أن يتغمده بواسع رحمته، وأن يسكنه فسيح جناته، وأن يحفظ إرثه الفني للأجيال القادمة. رحل الفنان، لكن فنه سيبقى خالداً أبد الدهر.



م. عصمت ضيف الله الملهطاني

رئيس مجلس الإدارة

السادة الحاصلون على نجوم ذهبية

د. عيد وحيده

م. محمود الفحام

أ.حسني جرامون

أ. ناجي بوالمسمارية

د.خالد الزغيبي

أ.د.ابراهيم العايش

أ.عبدالله لعشيبي

د.م.ابراهيم شعبان

أ.عبدالله ابوزوير

أ.د.حسن شعبان

أ.صابرين الصباغ

أ.قدورة العجني

د.سيد شعبان

د.رمضان ياسين

مجلة كل العرب

هلنا

تأسست يونيو 2023

السنة الرابعة





نبارك للدكتور

سيد شعبان

حصوله على النجمة الأولى

إقرأ في هذا العدد

مجلة كل العرب

هلنا

تأسست يونيو 2023

السنة الرابعة

رئيس التحرير
عيد وحيده

رئيس تحرير القسم الليبي
دكتور خالد الزغيبي

رئيس القسم الأدبي
م. محمود الفحام

رئيس القسم الإجتماعي
أ. حسني جرامون

رئيس قسم تراث البادية
أ. ناجي بو المسمارية

رئيس قسم التراث الشعبي الليبي
أ.د. إبراهيم العايش

رئيس قسم آثار البادية
الأثري . عبد الله موسى لعشيبي

رئيس مجلس الإدارة
عصمت ضيف الله الملهطاني

مجلة كل العرب
هلنا
العدد ٣٧ - يوليو ٢٠٢٦

تعريف بالسادة كتاب هذا العدد



د.سيد شعبان
أديب و كاتب مصري - كلية دار العلوم



أ. صلاح الدين هزاع
باحث في الإعلام والصحافة



أ. ناجي بو المسمارية
عضو لجنة التراث بمطروح



الصحفي . حسني جرامون
صحفي مصري



د. خالد سليمان الزغيبي
استاذ فلسفة القانون جامعة بنغازي



شيخ الصحفيين . عيد وحيده
رئيس التحرير



د.م. إبراهيم شعبان
كبير مهندسي صناعة السفن وكاتب مصري



أ. فريحة المريمي
صحفية ليبية



م.محمود الفحام
شاعر مصري وعضو اتحاد الكتاب



د.علي المندلاوي
كاتب ومفكر عراقي



أ.عبدالله موسى لعشيبي
مدير آثار مطروح - كاتب مهتم بشؤون البادية

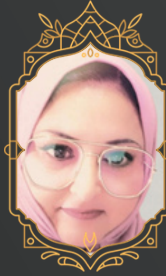


م.عصمت ضيف الله الملهطاني
رئيس مجلس الإدارة











حكاية

عمنا القشلان



د. سيد شعبان



رجل طويل تتدلى رأسه على كتفه، تتحرك أرنبة أنفه حتى تخالها تتعارك مع شفتيه، منخاره يسكنه الذباب، وعيناه تدوران في كل اتجاه كأنهما عينا ضفدعة. إذا تحرك خلته كرة تتدحرج، ويتناثر ماء فمه رذاذاً. ما علينا من وصفه فتلك صورة خُلق عليها. تنبش يداه الأرض فتخرجان الخبء، وإذا وقف تحسب نخلة قد زُرعت وسط الطريق. تتبعه امرأته تحمل جرة بها عسل، تهب المارين شربة ثم تتعاطى ثمنها كسرة خبز أو بضعة قروش.

ذلك حديث مضت عليه سنوات؛ يمسك في يده بوقاً يخرج منه زمير أشبه بصافرة الخطر، يقال وهبه إياه بائع العظم والهرابيد. كنا نخافه إذا مر بحارتنا، يتندر عليه الكبار ويعابثه الصغار فيخرجون إليه يقذفونه بالحصوات.

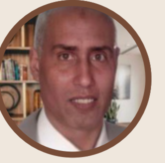
يأتي كفرَنا أيامَ مولد سيدنا الدسوقي عددٌ لا حصر له من المجاذيب يسكنون المحروسة؛ بعضهم يمشي بلا سروال، وأخريات نافشات الشعر أشبه بشجيرة السنط اليتيمة التي نمر بها عند ضفة النهر قريباً من الشيخ صفوان. في بلاد العجائب، كل شيء يدل على زمن تاهت عقارب ساعته.

في باطن الأرض كنوز:

سيوف كادت من صفرتها تزيغ الأبصار، محاريث وأبقار، توابيت ومغامرات في كهوف مخرجها وسط النهر، يمسك بمفتاحها جني أحمر، يخوِّف القشلان بها الناس في كفرنا إن هم عصوه.

له بنتان؛ واحدة عرجاء والأخرى بعين واحدة، تجوبان شوارع كفرنا، ما تدعان بيتاً إلا وسلبتا أرغفته، وتعرفان متى تبيض الفراخ.

تظن عمنا القشلان يحمل سراً؛ بعضنا يقول إنه رجل مبارك يقابل الخضر في مكان ما، ويجتمع بأولياء الله الصالحين جهة المقام الأخضر.



وفي المحروسة مقامات لأصحاب الولاية: البدوي، والقناوي، والشاذلي، والرفاعي ، وستنا أم هاشم.

آخرون يقسمون بأنه عفريت من الجن عاش زمن بلقيس ملكة سبأ.

ويدلي "مستور" ابن خالتي عريفة بدلوه قائلاً:

"إنه الذي عنده علم من الكتاب!"

كثر اللغط في شأن القشلان، غير أن "زغلول بن بهلول" أمسك بورقة صفراء انتزعها من كتاب الشيخ جاب الله وقال:

– هذا رجل من كوكب المريخ!

يقهقه الحاضرون:

– وأين دابته التي أتى عليها؟ أم تحسبها حمارة "مسعود الكيال" العرجاء التي تقطع السكة الزراعية من حنفية الشيخ ربيع حتى دوار الهنادوة في نصف نهار؟!

تنبح خلفه كلاب السكك، يرمي إليها كسرات الخبز فتتشممه من بعيد، وهو أشبه بأكوام السباخ.

يلوك الناس في ليالي الشتاء حكاياته، يتسامرون بها منتصف الليل؛ تضرب الريح أبواب البيوت حتى تحسبها شياطين الخرابة انفكّت من قيدها. تخرج رأسك من تحت اللحاف فتجد القشلان منتصباً وسط الحجرة، ترتد مفزوعاً وقد تملكتك الهلاوس وسكنت جسدك رعدة لا تزول حتى تعيذك أمك بالواحد الأحد وتستحضر أولياء الله الصالحين. لا ينصرف القشلان من مخيلتك حتى تهب له أمك أرغفة محشوة بالفريك وزوجاً من الحمام، والبيت خاوي البطن تسكنه ديدان المش!

كنت أراه في دكانة عم "حمدي صالح" يتبضع منه حبات الجوز، يدقها بالهون، يخرج علبة الدخان النحاسية، وتبرز من مغارة فمه ثنيتان من حديد مطليتان بالفضة، ومن كثرة ما مضغت من طعام تآكلت حافتاهما.

يحرك الهواء زر طربوشه الأحمر، يلفه بشال أخضر، فترتسم على وجهه صورة وليٍّ قادم من زمن غاب.

تهدأ عواصف الشتاء فتخرج الشمس، فكأن شوارع الكفر غطتها أسراب من الذباب.

منذ سبعين عاماً يسكن عمنا القشلان بلادنا، وجهة رسمية نشرت خبراً مفاده أن القشلان رجل ذو سر خفي، سكن الخرابة القبلية يكتنز الحكايات.

قال شيخ الزاوية:

– مولانا القشلان يصلي في الكعبة كل ليلة ويطوف بها، لكنه لا ينسى حظه من نسوة بني الأصفر، ونسله مبارك!

حين يلقي الليل خيمته السوداء، يخرج أكياسه وصفائحه المكتنزة بالذهب والخلاخيل الفضية، والأساور والحلقات التي سرقها من آذان الصغار. جاء طائر أسود تبرق عيناه واحتمله بعيداً. وحين أصبح كفرنا، كانت الأوراق المطلوبة قد اختفت من السجل المدني!

ومن يومها لا ندري ابن سَعد من ابن سَعيد، اختلطت الأنساب، وتاهت معالم الأجنة في بطون أمهاتها.

صار القشلان كبير الكفر، يأتمرون بأمره ويحتكمون إليه، وانتفخت عروق رقبته المدلاة أشبه بمخلاة الحمار الحصاوي. تجر زوجته وراءها نسوان الكفر يتبعنها في مشيتها. ضرب النسيان أعواده فجعلوه كبيرهم؛ ابتنى داراً عند ضفة النيل تحوطها كلاب رومية وأخرى سلجوقية، يشعل ناراً منتصف الليل فتخرج حيات صفراء تتراقص، وسكنت الذئاب والثعالب حقول القمح.

الصحافة المحلية في مطروح

سجل تاريخي يوثق تطور المجتمع البدوي وعاداته وتقاليده

صلاح الدين هزاع





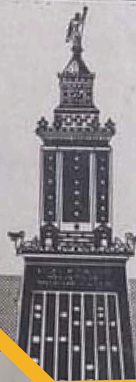




أخبار الدنيا
رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير
مجدى البدوى
توثيق صلاح هزاع
اخصائي خبير في الإعلام والصحافة
الثمن ٧٥ قرش
١٢ صفحة

العرب الجديد
توثيق صلاح هزاع
اخصائي خبير في الإعلام والصحافة
الحقيقة طريقتنا..
نائب رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير التنفيذي
أحمد بسيونى
مارس ٢٠٠٥م
الثمن جنيه

توثيق صلاح هزاع
اخصائي خبير في الإعلام والصحافة
مطروح المستقبل
١٢ صفحة - الثمن ٧٥ قرشا

الاسكندرية

أبريل ١٩٩٥

مطروح
توثيق صلاح هزاع
اخصائي خبير في الإعلام والصحافة
العدد الخامس عشر - يوليو ٢٠٠٨م
١٦ صفحة
رئيس التحرير
محمد الكيلاني

توثيق صلاح هزاع
اخصائي خبير في الإعلام والصحافة
القافلة
صوت البادية
صوت البادية
رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير
حمد خالد شعيب
السنة الأولى - العدد الثاني ثقافية إبداعية - غير دورية
سبتمبر ١٩٩٩
١٦ صفحة ٧٥ قرش

أ. صلاح الدين هزاع



الصحافة المحلية في مطروح

• بداية رحلة البحث في الصحافة المحلية بمطروح

بدأت رحلة بحثي في الصحافة المحلية منذ التحاقي بشعبة الإعلام والصحافة بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية عام 1990م، حيث تعرفت على السادة الصحفيين مراسلي الصحف القومية، وهم:

1- المرحوم جابر المجعاوي، الذي التحق بالعمل في صحيفة الأهرام منذ عام 1957م، وظل مديرًا لمكتبها في مطروح حتى وفاته عام 1994م، حيث تولى رئاسة المكتب ابنه الصحفي عاطف المجعاوي.

2- المرحوم أحمد المندوه، مدير مكتب صحيفة الأخبار حتى وفاته في فبراير 2008م، حيث تولى رئاسة المكتب الصحفي مدحت نصار.

3- الصحفي القدير محمود صادق، مدير مكتب صحيفة الجمهورية.

4- المرحوم محمد السيد، مدير مكتب جريدة المساء بمدينة الحمام والساحل الشمالي.

5- الصحفي عبد الستار حتيتة، مراسل جريدة الأهالي الصادرة عن حزب التجمع، واستمر في عمله حتى انتقاله إلى القاهرة في أواخر التسعينيات من القرن الماضي.

ولم يكن بمطروح آنذاك أي صحيفة محلية، وإن كنت علمت بوجود تجربة قديمة لإصدار نشرة أدبية متخصصة اسمها "زهور مطروح"، كانت تصدر بصفة غير دورية عن جمعية أدباء مطروح، وكانت متخصصة في نشر إبداعات الأدباء في مجالات الشعر والقصة القصيرة. وكان يرأس تحريرها الشاعر إبراهيم خليل (رحمه الله)، وصدر العدد الأول منها في أكتوبر عام 1980م، وتوقفت عن الصدور عام 1983م. وكان يكتب بها رواد الأدب والثقافة بمطروح، ومنهم الشاعر إبراهيم خليل، والشاعر إبراهيم عبد السميع، والشاعر صلاح رشدان، والسياسي الناصري علي أبو كرم (رحمهم الله جميعًا)، والأديب مختار الحماحمي (حفظه الله).

• الصحافة المحلية السكندرية - مدخل للصحافة المحلية المطروحية

بحكم الجوار الجغرافي والامتداد الديموغرافي بين الإسكندرية ومطروح، كانت وسائل إعلام الإسكندرية نوافذ إعلامية لمطروح، وكانت إذاعة الإسكندرية الإقليمية تخصص فقرة أسبوعية بعنوان "خمسة بمطروح"، تقدم

فيها أخبار المحافظة وموضوعات تراثية وفقرات غنائية بدوية لفنانين مطروح.
ثم توفرت لي فرصة لتخصيص مساحات جيدة بالصحف المحلية السكندرية.

- **الفرصة الأولى بجريدة "صوت الإسكندرية"**

حيث كان يدرس لي مادة (فنون ومهارات التحرير الصحفي) بشعبة الإعلام بكلية الآداب بالإسكندرية الأستاذ الصحفي سلطان محمود، نقيب الصحفيين بالإسكندرية ورئيس تحرير جريدة (صوت الإسكندرية) التي كانت تصدر عن المجلس الشعبي المحلي لمحافظة الإسكندرية بترخيص من المجلس الأعلى للصحافة.
وكنت أتلقى تدريبًا عمليًا في مقر جريدة صوت الإسكندرية، وقد نُشر لي أول موضوع باسمي في صوت الإسكندرية في عام 1993م، وكان ريبورتاجًا عن إذاعة مطروح الإقليمية بمناسبة عيد ميلادها الثاني.
ومن هذه التجربة تكونت عندي إرادة نقل تجربة الصحافة المحلية إلى محافظة مطروح.

- **الفرصة الثانية:**

بدأت مع التحاقي للعمل محررًا في جريدة (أخبار الإسكندرية) الجديدة التي صدر العدد الأول منها في يناير 1995م، وكان يرأس مجلس إدارتها وتحريرها الصحفي منير المسيري، نقيب صحفيي الإسكندرية، وأصبحت مراسلها في مطروح بتكليف رسمي من نقابة الصحفيين بالإسكندرية.
وتعتبر محطة من محطات الصحافة المحلية بمطروح؛ لأنها خصصت بابًا أسبوعيًا ثابتًا على صفحاتها بعنوان "أخبار مطروح"، بالإضافة إلى توسعها في نشر التحقيقات والمقابلات الصحفية ذات الارتباط بالمجتمع المطروحي.
وتوقفت الجريدة عن الصدور بعد وفاة النقيب منير المسيري عام 1997م.

- **الظهور الفعلي للصحف المحلية بمطروح**

- في شهر ديسمبر من عام 1996م، صدر العدد الأول من صحيفة "الأنوار أخبار مطروح" بترخيص أجنبي وبموافقات من الجهات الرسمية المختصة، وكان صاحبها



ورئيس تحريرها الأستاذ صبري خلف (رحمه الله). وقد توقفت الصحيفة بعد أقل من عام من تاريخ ترخيصها، بعد بضعة أعداد فقط.

- وفي شهر ديسمبر أيضًا من نفس العام 1996م، صدر العدد الأول من صحيفة "مطروح المستقبل" بترخيص أجنبي أيضًا وبموافقات الجهات الرسمية المختصة. وكان صاحبها ورئيس مجلس إدارتها ورئيس تحريرها الصحفي القدير محمود صادق، وقد عملت معه مديرًا لتحريرها في عدة أعداد.

واستمرت "مطروح المستقبل" في الصدور شهريًا لحوالي أربع سنوات.

- **عودة المطبوعات والنشرات الأدبية بجانب الصحف المحلية**

- في عام 1997م، ظهرت نشرة أدبية غير دورية باسم (عجيبة)، وكان يتولى إصدارها الشاعر الكبير إسماعيل عقاب (رحمه الله). وكانت متخصصة في نشر إبداعات أدباء مطروح، وتوقفت بعد صدور عددين فقط منها، وأعاد فرع ثقافة مطروح إصدارها غير دوريًا بعد عام 2019م.

- ثم أصدر الدكتور حمد خالد شعيب، الباحث في التراث، نشرة باسم "القافلة" في عام 1999م. وكانت نشرة أدبية غير دورية وصدر منها ثلاثة أعداد ثم توقفت.

- **التجارب الصحفية المحلية بعد عام 2000م**

أولًا: صحافة العقد الأول من الألفية الثانية (من عام 2000م إلى عام 2010م)

مع بداية الألفية الجديدة، ظهرت محاولات جديدة لإصدار صحف محلية، وكانت أغلبها نشرات حزبية تصدرها مجموعات من أعضاء الحزب الوطني الديمقراطي، بعضها باسم الحزب وبعضها باسم المجلس الشعبي المحلي، وهي:

1- "صوت مطروح" - الإصدار الأول - وكان يرأس تحريرها الأستاذ عوض الزعيري. وظهر الإصدار الأول منها مرات برقم إيداع بدار الكتب والوثائق المصرية، أو مرات كنشرة غير دورية عن المجلس الشعبي المحلي بمحافظة مطروح.

ثم صدرت الجريدة في مرحلة تالية في النصف الثاني من عام 2006م بنفس الاسم ولكن بترخيص أجنبي بموافقات السلطة المختصة. وبسبب الظروف الاقتصادية والسياسية



بعد ثورة 25 يناير 2011م، لم يصدر عن صوت مطروح إلا بضعة أعداد غير منتظمة.

2- نشرة "ريم الحطايا"، وهي نشرة حزبية عن أمانة الحزب الوطني في مدينة سيدي براني، وقد صدر العدد الأول والأخير منها في أكتوبر 2003م، وكان يرأس مجلس إدارتها وتحريرها سيف النصر السيد حسن.

3- نشرة "أخبار مطروح"، وهي نشرة أصدرها الصحفي محمد السيد عام 2003م باسم ديوان عام محافظة مطروح، واستمرت في الصدور لحوالي عام ثم توقفت.

4- نشرة "مجلة صوت العرب"، وقد صدرت بعض أعدادها باسم الحزب الوطني بمطروح وبعضها صدر باسم أمانة الحزب بمدينة الضبعة، وكان يرأس تحريرها أحمد بسيوني. وقام بسيوني فيما بعد بإصدار صحيفة باسم "صوت العرب الجديدة" بترخيص أجنبي، وصدر العدد الأول والأخير منها في مارس 2005م.

5- نشرة "وطني مطروح"، وهي نشرة غير دورية صدرت عن الحزب الوطني الديمقراطي، وكان رئيس تحريرها التنفيذي الصحفي مدحت نصار، ويشارك في تحريرها الإذاعي عبد الحميد القناشي، المدير العام لإذاعة مطروح الأسبق، وعدد كبير من الإعلاميين الإذاعيين والصحفيين، وقد استمرت في الصدور لعدة سنوات من 2007م إلى أواخر 2010م.

6- "صوت الحمام"، وهي نشرة غير دورية أصدرتها "جمعية تنمية المجتمع المحلي بقرية أولاد جبريل" التابعة لمدينة الحمام برئاسة تحرير الصحفي محمد السيد، وصدر العدد الأول والأخير منها في ديسمبر عام 2009م.

وأفرزت تلك المرحلة جيلًا من الصحفيين أسميهم (صحفيي الجيل الثاني)، وهم:

1- الصحفي علي الشوكي بجريدة "المصري اليوم".

2- الصحفي أحمد نفادي بجريدة "الشروق" و"بوابة الأهرام".

3- الصحفي حسن مشالي، الصحفي بجريدة "اليوم السابع".

4- الصحفية نورا عبد القادر بمجلة "آخر ساعة".



• صحافة العقد الثاني من الألفية الثانية (ما بعد 25 يناير 2011م و 30 يونيو 2013م وحتى 2020م)

صدرت في هذه المرحلة عدة إصدارات هي:

1- صحيفة "أحلام سيوة"، وهي صحيفة صدرت بترخيص أجنبي وموافقات الجهات المختصة، وكان يرأس مجلس إدارتها أحمد عبد الغني ويكتب بها عدد من مثقفي مطروح منهم الأديب سليمان إدريس والباحث حمد خالد، وصدر من "أحلام سيوة" خمسة أعداد ثم توقفت عن الصدور خلال نفس العام.

2- إصدار "مطروح لنا"، وكان نشرة غير دورية عن مؤسسة "ولاد البلد للخدمات الإعلامية" بإشراف عام تنفيذي صلاح هزاع، الخبير في الإعلام والصحافة، وإشراف عام للصحفي أحمد نفادي. ومن أهم الأسماء الإعلامية التي شاركت في تحريرها غادة الدربالي، وهي صاحبة بصمة كبيرة ومن الأعضاء المؤسسين للإصدار، ومجيد الصنقري، وسامي حسن، ومحمد عمران جيري، وهدى الزيات، ونورا عبد القادر الصحفية بمجلة آخر ساعة. وصدر من "مطروح لنا" 156 عددًا، كان الأول منها في الأول من يناير 2013م والأخير في نوفمبر 2018م، لتتحول إلى إصدار إلكتروني على شبكة الإنترنت، قبل أن توقف مؤسسة ولاد البلد نشاطها وتغلق جميع إصداراتها المطبوعة والإلكترونية بما فيها "مطروح لنا".

3- صحيفة "مطروح الثورة" بترخيص أجنبي أواخر 2013م، وبعد صدور بضعة أعداد توقفت عن الصدور وعادت مرة أخرى فيما بعد. وكان صاحبها ورئيس مجلس إدارتها الإعلامي محمد بخات.

4- جريدة "جورنال مطروح" في منتصف عام 2014م، أصدرها الصحفي علي الشوكي بترخيص أجنبي وموافقات السلطة المختصة، وصدر منها عددان متميزان. ثم توقفت عن الصدور حتى الآن.

الوجوه الصحفية الجديدة في مطروح التي أفرزتها تلك المرحلة:

من أهم النتائج الإيجابية للتجارب الصحفية في مطروح أنها وفرت مواد أرشيفية تعتبر بمثابة وثائق لمن يحتفظ بها للكثير من الأحداث والوقائع. والأهم أنها استضافت وكشفت عن خبرات إعلامية وصحفية جديدة كثيرة شاركوا وما زالوا مشاركين بإسهامات كبيرة في الصحافة المحلية والقومية والحزبية والمستقلة، وهم:

منهم الإعلامية والناشطة غادة الدربالي، مراسلة جريدة "الوفد".

وعلاء عبد الله، مراسل جريدة "روز اليوسف".

والدكتور محمد منير، مدير مكتب "وكالة أنباء الشرق الأوسط".

وصالح العشيبي، مراسل صحيفة "الأسبوع".

بالإضافة إلى أسماء كثيرة أخرى كان لهم نشاط قوي لكن اعتزلوا المجال أو توقفوا عن النشر لأسباب مختلفة.

ومما يعتبر إضافة قوية للصحافة المحلية هو انضمام عدد جديد من أبناء مطروح لنقابة الصحفيين، ومنهم:

1- الصحفي محمد بدر بجريدة "فيتو".

2- الصحفية ياسمين شعيب بجريدة "الدستور".

كما لمع في الصحافة القومية بالقاهرة منذ أواخر تسعينيات القرن الماضي أو في الألفية الثانية عدد من أبناء مطروح منهم:

1- عبد الستار حتيتة، الصحفي والمحلل السياسي بعدد من الصحف العربية والقنوات الفضائية.

2- أمجد مصطفى، الصحفي بـ"الوفد".

3- البهاء حسين، الصحفي بـ"الأهرام".

4- محمد الجالي، الصحفي بـ"اليوم السابع".

•الإيجابيات التي حققتها الصحافة المحلية المطبوعة

من إيجابيات وجود مطبوعات صحفية ونشرات محلية، توفير مواد تحريرية تصلح للتعرف على تطور المجتمع المحلي خلال أربعة عقود من الزمن، بداية من "زهور مطروح" التي صدرت عام 1980م وحتى آخر إصدار. كما تناولت كل منها مشكلات المجتمع المحلي وهمومه ووضعتها أمام صناع القرار، وكثير منها تم حلها.

الصبر خير وأولى م البكا



تراث البادية

ناجي بو المسمارية



(الصبر مفتاح الفرج) ، مقولة قديمة كنت دائما ما أجدها هي وكلمة (الصبر جميل) مكتوبة على سيارات النقل الدودج الخشبية والبيدفورد.

ولما كبرنا وطحنتنا الحياة وأذاقتنا الدنيا من خيرها وشرها لم نجد أطعم ولا أجمل من الصبر ، وأجمل أنواع الصبر هو الصبر عند الصدمة الأولى.

والصبر أنواع ، صبر ساعة وصبر يوم وصبر عام وصبر عمر بحاله مثل الصبر عالذرية والزوجة الكدية والصبر عالجار والصبر عالمرض ، والصبر موش مغير على المصايب والصدمات ، هناك أيضا صبر عالنعمة والمال ، فيه اللي إن ربنا أغناه فجر وفسد حاله ولا يستطيع أن يصبر إن جاه خير وأغناه الله بفلوس فسوف يطرطشن في الحرام والمشاريع الفاشلة.

والصبر حتى عند بعض الحيوانات ، هناك منهن من يشتهر بالصبر مثل الحمير أكرمكم الله فهي صبورة وطيبة وتنسى السية ، وكذلك الجمل معروف إنه صبور ولكنه خاين وحقود وماينساش السوايا فاحذروا الجمال إن أسأتم إليها ، كذلك هناك حيوانات ملولة متهورة سريعة الغضب مثل الخيل.

وأجمل ما قيل عن الصبر كلمات لسيدنا علي رضي الله عنه وأرضاه يقول فيها :

سأصبر حتى يعجز الصبر عن صبري .. وسأصبر حتى ينظر الرحمن في أمري .. وسأصبر حتى يعلم الله أنني صابر على شيء أمر من الصبر

ويقول صاحب قصيدة البيت الواحد في بيت قديم جدا وقد تكون أول غناوة نسمعها ولا أتذكر إلا شطرا منها تقول: (الصبر خير وأولى مالبكاء) وعلها اسكات.

وكل عام وأنتم بألف خير.

الخيانة



حسني جرامون

الصديق الخائن أخطر من القنبلة الذرية.

الخيانة: نقض للعهد، وإخفاء للغدر.

المجتمع المليء بالخيانة آيل للسقوط.

في كل يوم نسمع قصة جديدة: موظف يسرق أسرار شركته ويبيعها للمنافس، مدير مدرسة يتحرش بولية أمر، صديق يفشي سر رفيق عمره على الملأ، صديقة تُفشي سر صديقها لأعدائه، سياسي يعقد صفقات في الخفاء، زوج يكسر عهد المودة. بكلمة "خيانة"، من قاعة المحكمة إلى قعدة القهوة، ومن شاشات الأخبار إلى جروبات الواتساب، صارت كلمة "اتخانت" هي العنوان الأكثر تكراراً في شكاوى الناس هذه الأيام الثقال.

لكن السؤال الذي يفرض نفسه: لماذا الخيانة أصبحت أسهل هذه الأيام؟ ولماذا طعنة الظهر أصبحت أسرع من كلمة الحق في وجه العدو؟

قرائي الأحباب، في السطور القادمة نحاول فك لغز "الخيانة"، ونشوف تأثرها على الفرد والمجتمع، وإزاي نخرج منها من غير ما نتحول لنسخة من اللي خونونا.

أولاً: تعريف لا يحتمل التجميل

الخيانة لغةً: نقض العهد وإخفاء الغدر.

واصطلاحاً: أن تمنح شخصاً أمانك وظهرك، فيختار أن يطعنك من نفس الباب الذي دخل منه من قبل.

الفرق بين الخيانة والخطأ: أن الخطأ زلة لحظة، أما الخيانة فقرار مبيت، فيه تفكير وتخطيط وتنفيذ بإرادة كاملة. لذا كل الشرائع والقوانين جعلت عقوبتها أغلظ، لأنها جريمة ضد "الأمان" نفسه، لا ضد الشيء.

ثانياً: صور الخيانة من القصر إلى البيت

للخيانة وجوه كثيرة، وكل وجه أوجع من الذي قبله، حسبنا الله ونعم الوكيل.

- خيانة الأوطان (الخيانة العظمى): بيع الأرض والعرض والتاريخ مقابل مصلحة أو أيديولوجيا.



ذاكرة الشعوب لا تنسى أبداً من وقف مع العدو ضد أهله، ومهما طال الزمن، اسم الخائن يظل لعنة في الكتب، والتاريخ يشهد عليه طوال العمر.

• خيانة العهود والمواثيق: في السياسة والشغل والشراكة، توقع عقداً وتأخذ حقك كاملاً، ثم تتنصل. هذه تقتل الثقة في السوق كله، وتخلي الناس تخاف تتعامل مع بعض من كتر تكرار الخيانات.

• خيانة الصداقة والأخوة: إفشاء السر، الشماتة وقت الوقعة، الوقوف في صف عدوك. الصديق الخائن أخطر من العدو المعلن، لأنك مأمن له ومش عامل حساب إنه يوم يتقلب.

• خيانة المشاعر (أوجعها): لما حد يحبك بصدق وترد له حبه بخداع وكذب. الجرح هنا مش في الكرامة، الجرح في القلب اللي صدق وانكسر وكانش متوقع.

ثالثاً: لماذا يخون الإنسان؟

لو بحثنا في جذور الخيانة، هنلقي 3 أسباب رئيسية:

1. فراغ القيم: اللي ما اترباش على العيب والحرام والمروءة سهل يبيع أي شيء. الدين وصفها: "آية المنافق ثلاث، وإذا اؤتمن خان". الخيانة علامة موت الضمير.

2. الطمع والجشع: كثير من الخيانات بدأت بعرض مغري: منصب، فلوس، شهرة زائفة. الخائن بيبيع الأصل عشان الفرع، وبيكتشف متأخر إنه خسر الكل، حتى خسر نفسه.

3. الجبن: الشجاع يواجه ويقول "لا أريدك" في وشك، والجبان هو اللي يبتسم في وجهك ويحفر لك الحفرة من وراك. الخيانة سلاح الضعيف دائماً.

رابعاً: ثمن الخيانة يدفعه الجميع

الخائن فاكر إنه أذكى واحد، لكنه أول واحد يدفع الثمن.

• على المستوى الشخصي: عيشة قلق. اللي يخون مرة بيضل خايف طول عمره إن الدايرة تلف وحد



يخونه. بينام وضميره صاحي، ولو نام بينام نوم المتوترين والمتعصبين والظالمين.

• على المستوى المجتمعي: مجتمع متفشية فيه الخيانة هو مجتمع آيل للسقوط. جيش فيه خائن ما بينتصرش، شركة فيها موظف خائن بتفلس، بيت فيه طرف خائن بيتدمر. الخيانة زي السوس في الخشب.

خامساً: بعد الطعنة... كيف ننجو؟

الخيانة درس قاسي، لكن اللي يفهمه صح بيطلع منه أقوى من الأول بكتير.

• لا تجلد ذاتك: أنت ما استاهلتش الخيانة. الغلط على اللي اختار يخون، مش عليك إنك وثقت ولكنه مطلعش قد الثقة.

• سامح لراحتك، لا لعودته: المسامحة بتشيل الحمل من على قلبك، لكن إعادة الثقة للخائن انتحار بطيء. "المؤمن لا يُلدغ من جحر مرتين" مش كده ولا إيه؟

خليك الأصيل: أسهل حاجة بعد الخيانة إنك تتحول لنسخة من الخائن. انتصر عليه بإنك تفضل إنسان نضيف، وفيّ، صاحب مبدأ، صاحب كلمة حق. تظل أصيلاً.

• اختار صح المرة الجاية: الخيانة بتديك فلتر. ما تخيبش بعدها، بتعرف تفرق بين اللي يستاهل قلبك واللي ما يستاهلش حتى كلمة منك أو سؤال عنه.

في النهاية، الخائن خسران. حتى لو كسب لحظته، خسر نفسه، وخسر دعوة حلوة وقت موته، وخسر إنه يتذكر بالخير.

أما الوفي، فهو العملة النادرة اللي كل ما الزمن يمر سعرها يغلى. هو اللي يستر عليك، يدافع عن غيبتك، يفضل ثابت وقت ما الكل يتغير. مش كده ولا إيه؟

والسؤال اللي سيبه لحضراتكم قرائي:

برأيكم، هل الخائن ممكن يتغير ويتوب توبة حقيقية يرجع بيها ثقة الناس؟ ولا اللي خان مرة هيخون ألف مرة؟

فرج العوامي

صوت لا يشبه غيره



د. خالد سليمان الزغيبي

د.خالد الزغيبي



فرج العوامي

في زحام المدن الساحلية، حيث تختلط أمواج البحر بروح الصحراء، ينبت أحيانًا فنّ مختلف، لا هو ببحري خالص ولا هو بصحراوي مجرّد. ذلك هو فنّ فرج العوامي، ذلك البدوي الذي حمل نكهة الإسكندرية في صوته ووهج الصحراء في روحه.

في منطقة الحضرة القبلية، حيث تتجاور القبائل الليبية المهاجرة، نشأ فرج العوامي على ثقافة بيت الشعر، في ذلك العالم البدوي بامتياز. وكان شابًا مميزًا، لا يمرّ عرس بدوي في منطقته إلا وكان صوته عنوانًا للفرح.

"نوارة" تلك الأغنية التي عشقها الجميع لم تكن مجرّد كلمات تُلحَّن، بل كانت حالة من النقاء البدوي الممزوج برقة السكندري، كأنها زهرة برية نمت على حافة مراح الإبل. وكغيره من الفنانين البدو، كان فرج العوامي يتردّد على عمّي الشاعر إدريس بو صالح ليأخذ من شعره ما يُغنّي به القلوب قبل الأذان. وكان يجلس بين يديه بخشوع التلميذ أمام معلمه، فيسمع القصيدة لأول مرة فيحفظها دون تلعثم.

من يَرَ فرج العوامي في جلساته يعرف أنه رجل جمع بين ثقل الموهبة وخفة الظل. فكانت مناكفاته ونكاته وضحكاته العالية تملأ المكان وتُنسي الحضور تعب الدنيا. لكنه في الوقت ذاته كان عفيفًا أنيقًا في ملبسه، يبدو وكأنه من الأثرياء حتى لو لم تكن في جيبه نقود كثيرة، لأن كاريزماه الحقيقية كانت تشعر الناس أنه غني دون أن تنطق بذلك. غنّى فرج لبدو الإسكندرية "كوني صبارة يا عيني" فكانت صرخة صبر بدوية لا تلين، وغنّى أغنيته الشهيرة "أنا مش عارف قلبي كِنه" فكانت حيرة العاشق التي لا تنتهي. كما غنّى "ما عادش يلزم غلاكم" و"يخونني ويجيبه" و"خليك حنون" و"يا لي عيونك لاموني"، وكأنه يغني سيرة كل قلب بدوي خُذل أو عشق أو انتظر.

في مرحلة الشباب، كنّا نتبع السهرات الفنية البدوية. وكنا إذا أردنا أن نستمتع بصوت فرج العوامي نتجه صوب "الصالة الزرقاء" في سان ستيفانو، ذلك

المكان الذي يقوم عليه اليوم "سان ستيفانو مول". حيث كان له طلّة مميزة لا تشبه طلّة أحد، خاصة حين يطلب الجمهور منه أغنياته الشهيرة "كذابين" أو "مرايف هيتولي ريدي". فكانت الصالة ترتجف حماسة وحنينًا، وكأن كل من فيها يغني معه.

كانت لهجة فرج العوامي البدوية أقل عمقًا من لهجة بدو الصحراء الداخلية، لكنها كانت أكثر قربًا إلى قلوب بدو الإسكندرية الذين وجدوا فيها روحهم المريحة. وعندما يُحيي حفلته، كان ينتقل بك من الصالة الزرقاء ذلك المكان الراقي مباشرة إلى بيت العرب حيث الخماسة والعميتة والرواق. وكان حين يختم وصلته الغنائية بأغنيته "أنا مش عارف قلبي كِنه" يشعرك وكأن الصالة الزرقاء قد تحوّلت إلى ديوان قبيلة كبير يجتمع فيه الأحبة على سماع الكلم الطيب.

التقيت الفنان فرج العوامي بعد عودته من مهجره المصري إلى ليبيا، وكان ذلك بعد نحو عشرين عامًا لم ألقه فيها. كان ينتظر تاكسي على قارعة الطريق. وحين شككت أنه هو، رجعت بسيارتي إليه، فاستغرب توقّفي وأخبرني ببساطة أنه ينتظر تاكسي. فقلت له: "لا عليك، أنا سأوصلك". وأنا كنت قد تغيّرت بالتأكيد فلم يتعرّف عليّ. في الطريق سألني: "لماذا توقّفت عليه لتحمله في سيارتك؟ هل تعرفني؟" في البداية أبلغته: "أنت تستطيع أن تقول: هو لوجه اللّٰه". ومباشرة ردّ عليّ بنبرته البدوية الحادة: "حضرتك شايفني أطلب؟" أي "أشحت" كي تقول لي "لوجه اللّٰه". ثم استدرف: "أنا مش محتاج إن حد يعمل في عمل لوجه اللّٰه". قلت له: "اهدأ يا حاج". فردّ عليّ كذلك ولكن بحدة أكبر: "كيف أهدأ؟ هل تراني مجنونًا أُمزّق ثيابي كي تقول لي اهدأ؟" فقلت له باستفزاز: "أنت تحسّب نفسك في الحضرة؟" هنالك نظر إليّ طويلاً وقال لي: "أنت أكيد تعرفني". فسألته: "هو حضرتك ليه تفترض أن الناس كلها تعرفك؟" فنظر إليّ قائلاً بلهجة لا تحتمل المزاح في هذا المقام: "أوقفني هنا وانزلني، لأننا تقريبًا قد نتعارك، أو أوصلني إلى مكاني بدون استفزاز لو سمحت".

وحين وجدته قد انزعج حقًا، أخبرته من أكون. مباشرة طلب مني أن أتوقف وننزل من السيارة.

وفعلًا توقّفت، ونزلت ونزل هو كذلك، وعانقني عناقًا طويلاً لم ينته إلا بانهمار عينيه بالدموع التي لا تتكلّف. ثم أخذ يسألني عن عمّي إدريس وعن والدي، وكأن السنين العشرين لم تكن إلا يومًا واحدًا. ووعدته أني سأجعله يقابلهم في القريب العاجل. وفعلًا التقى بهم بعد ذلك وجلسوا جميعًا واستعادوا ذكريات الإسكندرية الجميلة، تلك الذكريات التي كانت أغاني فرج العوامي عنوانها الأول والأخير. وكان أثناء لقائي به قد أبلغني أنه اعتزل الفن، ليس بسبب اختلاف المناخ الفني في ليبيا عن مصر كما قد يظن البعض، بل لأنه كان يعرف أن بعض الأصوات تولد في زمن معين وتنتمي إلى مكان محدّد وتخاطب جيلاً لا يتكرر، وأن صوته ذلك الذي غنّى للبدو في الإسكندرية قد أدّى أمانته وأكمل رسالته. رحل فرج العوامي عن دنيانا، لكنه لم يرحل من ذاكرتنا. رحم الله فرج العوامي، فقد كان فنانًا بدويًا سكندريًا أصيلاً ترك أثرًا لا يمكن محوه من ذاكرة جيله والأجيال القادمة. فقد كان أيقونة للفن البدوي السكندري الذي لا يشبه تغريده أحد غيره. كان فرج العوامي أشبه بنخلة سامقة على شاطئ المعمورة، جذورها في الصحراء ولكن أغصانها يهمس لها موج شاطئ كليوباترا والشاطبي كل مساء. وإذا بالبحر والصحراء يتصالحان في صوته، وتلتقي القبيلة والمدينة في أغانيه، وتبقى "نوارة" و"كذابين" و"أنا مش عارف قلبي كِنه" شاهدات على أن الفن الحقيقي لا يحتاج إلى بريق ولا دعاية ولا أضواء، بل يحتاج إلى روح صادقة تحمل هموم أهلها وتغنيها لهم وكأنها تقول: "أنا واحد منكم، وهذه قصتنا جميعًا". وكلما اشتاق بدو الإسكندرية إلى صوت صادق لا يشبهه صوت آخر، تذكّروا فرج العوامي، ذلك البدوي المهندم خفيف الظل ثقيل الأثر، الذي جمع في فنه بين رقة البحر ووقار الصحراء، بين ضحكة النهار وعبرة الليل، وبين أنفة البدوي ودفء السكندري.

رحم الله فرج العوامي، فقد كان بحق بدوي الإسكندرية الذي لا يتكرر.

سكندريات

ماذا نجني من الكراهية ؟!

شيخ الصحفيين : عيد وحيده





حب الناس فضيلة أخلاقية سامية، وقيمة إنسانية نبيلة، وكرههم يؤدي إلى نتائج وإفرازات خطيرة تؤثر على استقرار العالم وأمنه؛ ولهذا يجب على الإنسان ألا يمقت الآخرين، ولا يساهم في نشر الضغينة، بل عليه أن يحول محبته إلى وسيلة لترقيق قلوبهم، وهدف منشود لتغليب الخير على الشر في طباعهم وسلوكهم.

فإذا كانت محبة الأهل والجار والقريب والصديق من الخصال الحميدة التي يطرب لها الوجدان، وينادي بها أصحاب الألباب، فهي أيضاً مقصد محبوب، وخلق محمود حثت عليه الأديان كافة، وباركته الشعوب جميعها رغم اختلاف التصورات والأفكار والميول والثقافات.

إن محبة البعيد لا تقل أهمية؛ لما لها من منزلة في العقول، وحلاوة في القلوب، فالبشرية تنحدر من أصل واحد، وتسكن كوكباً واحداً، مما يترتب عليه وجود مصالح مشتركة، تقتضي التعاون المستقبلي، وتبادل الخبرات والمعارف وشتى العلوم، وبالتالي تعميق أواصر الأخوة والمحبة والصداقة.

فليت كل إنسان يبحث عن الأسباب التي تجعل منه شخصاً محترماً في أعين الناس، تقدره وتكن له كل معاني الإعجاب، بدلاً من بذل مجهود خرافي في تنقيب ذاكرة الأيام، والبحث عن نقاط الخلاف، والوقوف على زلات اللسان وفلتاته، أو تصيد الأخطاء -سواء كانت صغيرة أو كبيرة- وتضخيمها.

ماذا لو نقى الإنسان قلبه من الأنانية والحقد والبغض، وفتح صفحة جديدة مع كل شخص أساء إليه، وغفر له زلاته؟ أليس هذا إنجازاً أخلاقياً عظيماً يُحسب له؟

وفي المقابل، ماذا يجني هو من إفساد علاقته بغيره سوى القلق والاضطراب النفسي، وتأنيب الضمير أو موته؟ مما يجرده من بعده وجوهره الإنساني القائم على المحبة والتسامح.

فقبل أن تعلن كراهيتك وتصرح بمشاعرك السوداء، عليك أن تسأل نفسك: ما الفائدة المرجوة من زرع كراهية مدمرة لا تبقي ولا تذر؟ وما الفائدة في أن تحول من يشاركك في الهواء والأرض إلى عدو لدود؟!

تسريبات من مقر إبليس

(٥)

د.م. إبراهيم شعبان





تجهيز إبليس

احتفى إبليس مع كعبلون المستشار المقرب الجديد بشرب النسكافيه بالويسكي. شعر إبليس بعدها بالسعادة الجارفة والانتشاء، وربما السكر قليلا، فأخذ يتحدث مع كعبلون بسعة صدر وأريحية جعلته يتقبل أسلوب كعبلون الحكيم بصدر رحب. تناقشا كثيرا عن قدرته على استيعاب الموقف بسرعة وادعى الفهم، وهنا تطرق الحديث إلى كعبلون المحروسة.

إبليس: ما رأيك يا سيد كعبلون أن نرسل إلى صديقك في المحروسة ونعزمه عندنا هنا؟ نتحدث إليه ويتحدث إلينا، وقد يعطينا بعض النصائح فنعمل بها.

كعبلون: ماذا تقول يا مولاي؟ هل أنت جاد؟ وشرفك لن يأتي ولن يقبل عزومتك، وربما يغضب غضبا شديدا! أما تدري يا مولاي أنه لو صعد في طريقه إلينا فلن يصل أبدا؟

إبليس: كيف؟ وعندنا من النفاثات المدرعة ما يحميه، وسوف نحرسه بحراسة مشددة وبمشهد مهيب يتعجب منه القاصي والداني!

كعبلون: أو تدري يا مولاي أنه مطلوب من كثير من أعدائنا من الملائكة حيا أو ميتا؟ وهو يعلم ذلك. إن خاطرنا فسنخسره إلى ما لا نهاية، وسنفقد حكيما ليس له وجود، عالما بالمحروسة وأحوالها، ولن نجد له بديلا.

إبليس: كيف إذا نقابل الأخ كعبلون؟

كعبلون: أولا اسمه الدكتور كعبلون، وسيغضب غضبا شديدا إن عرف بأنك تناديه بـ أخ! لن يمكنك نيل هذا الشرف إلا إذا تعلمت منه وأيقن أنك ستفهم وتستوعب ما يقول. لقد بذل الكثير مع بعض أهل المحروسة ولم يجد نفعا منهم، ولم يعطهم شرف الجلوس معه. أما تعلم سيدي أن اسمي كان شمرون؟ ولكن كلما وجدني ملما أعطاني حرفا واحدا من اسمه كل عام، منحني ك ثم ع ثم ب ثم ل فأصبحت كعبل، ومرت أربع سنوات دراسة حتى منحني الثقة الكاملة.

إبليس: إذا، ماذا ترى أيها الحكيم؟

الحكيم: أولا، يجب أن تجيد القراءة والكتابة حتى تستطيع قراءة اللوحات المعلقة فوق رؤوس الوزراء كبار الموظفين، حتى لا تحترق بجهلك مما هو مكتوب عليها

فتتنبه إليها جيدا، مثل: هذا من فضل ربي، وآية الكرسي، والمعوذتين. المكاتب كلها عليهامصاحف من الحجم الكبير تكفي لحرق أمتك جميعا، ناهيك عن الأحجبة الكثيرة في جيوبالملابس والمحافظ، ومنها ما هو معلق خلف الأبواب. ياه! لو تعلم!

إبليس: وكيف أبدأ الدراسة؟

الحكيم: يمكن أن أحضر إليك بعض المدرسين من المحروسة وأساتذة الجامعات، ولكن فلتعلم أنها ستكون دروسا خصوصية، بالفلوس يعني! وربما يكون لديهم انشغالات بدروس الطلبة والطالبات فيجب عليك النزول إليهم. ويفضل أن يوافقوا على إعطائك دروسا بمفردك حتى لا تفضح نفسك بجهلك أمامهم، ويفضل كذلك أن تأخذ هيئة البشر حتى يطمئن المدرس إليك.وسأختار لك أحد العلماء الشيوخ من ذاعي الصيت في التلفاز، فهم الأقدر على الصبر معك.

إبليس: يعطون دروسا للطلبة؟ ما هذا؟ وماذا يفعل المدرسون في المدارس والجامعات؟

الحكيم: لا شيء يا مولاي إلا توافه الأمور، فيضطر الطلبة لدفع المعلوم ليتعلموا خارج أسوارالمدارس والجامعات.

إبليس: وكيف يتحمل الأهل كل تلك الأعباء؟

الحكيم: لا شيء، غير أنهم يعينون أنفسهم ببعض الرشاوي، ومن لم يستطع سيقطع من قوته وطعامه لتعليم الأولاد.

إبليس: اعذرني يا حكيم، المدرسون هؤلاء أولاد عرص صحيح، وكمان أولاد وس بلاش أكملعيب! ده أنا شايف المعلمين يركبون سيارات آخر موديل، وفيلات ونسوان بالهبل، ومشعاجبهم، وبيذلوا العيال وأهلهم كمان! إيه الفوضى دي؟ أمال كل يوم يشقلبوا في اسم الوزارة،مرة وزارة المعارف، ومرة التربية والتعليم، وأخرى التعليم العالي؟ وسمعت أنه تعليم مجاني، يقوم الأهل يدفعوا للمدرسين أكتر من التعليم غير المجاني! إيه الفوضى دي؟

الحكيم: تحب أن أدخلك أولا إحدى المدارس المسماة نموذجية وتشوف المدرسين والعيال بيعملوا إيه؟ ولا من قاصرها أوديك لناس بتقبض بالحصة؟



إبليس: ومتى أقابل دكتور كعبلون؟

الحكيم: فقط بعد أن تتعلم القراءة والكتابة وبعض العلوم الإنسانية، بيقولوا عليها كده، اللي في مناطق أخرى بيسموها الناسوت.

إبليس: ماشي، أمر دكتور كعبلون. ابدأ أيها الحكيم في حجز مكان لي في الدروس الخاصة، واعلم أني سأظهر في سن اثني عشر عاما أو أقل قليلا، في هيئة بنت جميلة، وبالطبع سآخذ معي بعض الشياطين غير المرئيين لهم.

الحكيم: سمعا وطاعة يا مولاي.

هبوط إبليس

هبط إبليس إلى الأرض متخيرا المحروسة، حيث سيتعلم ما لم يكن يدركه من القراءة والكتابة وبعض العلوم الإنسانية، ومنها علم النفس، والفقهالمقارن، وبعض المفاهيم التي ترسخت في وجدان أهل المحروسة، حقا كانت أم باطلا أريد به الحق.

وصل إلى الأرض للمرة الثانية منذ أن قرر الاستقالة والرجوع عن تعنته أمام الملأ الأعلى، متبجحا بأنه لن يقيم وزنا لهذا المخلوق التافه واللزج. ألم يخلق هو من نار تحرق من اقترب منها، وذلك التافه من طين عفن؟ أين أنا وأين هو؟

تذكر كل ذلك وهو في ركن ركين بعيدا عن العالمين، مراجعاً تاريخا طويلا منذ خلق آدم:

ما لي أنا بآدم وحواء؟ هي خلقت منه وهي التي أرادت الثمرة من الشجرة الممنوعة! لقد طالبته بتقديم هذه الثمرة قبل أن يقترب منها، ومع أنه شرح لهاأن الله قد أمره بالابتعاد عن هذه الشجرة ولنا في الجنة ما نشاء، صرخت في وجهه: وأنا مالي، إنت يعني خدتني معاك لما اتفقت؟ والله لأفضحك لو قربت مني من غيرها! ولم أتدخل أبدا إلا بما وسوسته له: ربما تكون على حق. انصاع آدم إليها وقدم لها عربون المحبة، فأكلت وأكل منها، وفسق عن أمر ربه! ما لي أنا إذا في هذا الشأن؟ وما لي أنا بحملها الذي جاء سفاحا ضاربا هو عرض الحائط بكل ما علمه ربه إياه؟ ألم يقل سبحانه: وعلم آدم الأسماء كلها ولم يعلمها لأحد غيره؟ إذا هو سيد نفسه! كيف تضعون علي وزر مقتل قابيل وهابيل؟ قابيل كان مغرورا متعاظما على أخيه هابيل وراقت له زوجته، ما قلت له إلا: إن كانت راقت

لك فاخطفها على حصان أبيض، فإذا بالمغفل يقتل أخاه من أجل امرأة!
أما باقي الأحداث الرهيبة والتي حدثت في تاريخ الإنسانية كلها حتى سبعين عاما مضت، أنا الذي بدعت أهل الكهنوت، وعبدة وعبيد ورعايا المعبد.وأنا الذي بدعت علوم اللاهوت وعلوم الناسوت، سمها كما شئت، هي في كل ديانة لها أسماء أخرى، لكنها بقيت كما وضعتها لهم لم تتغير إلا الأسماءباختلاف الديانة. الكهنة وحراس المعبد منذ حضارة المايا وحضارة القدماء من أهل المحروسة وحضارة الصين، قل كما شئت حتى الأديان الربانية الثلاثة، لقد جعلهم الكهنة بعدها يتصرفون دون أي تدخل مني أو من أعواني! أنا فقط وضعت البذرة، وضعت فقط الفكرة، وعليها قام كهنة الأديان بكل شيء، من تزوير في النصوص الإلهية إلى لي معاني النصوص بحيث تؤدي كل منها إلى طريق آخر. وهم الذين جعلوا كل دين ممزقا شيعا وأحزابا وفرقا وتقاتلوا، مستغلين الحمقى من أتباعهم، وهم على عرش الكهنوت لا يمسهم سوء، وأثروا ثراء فاحشا حتى يومنا هذا!
أما ما يحدث في المحروسة فلا دخل لي به على الإطلاق. وما تجربتي فيها حين بدأت بالعطارة فلم تنجح إلا عطارة إبليس التي تهافت الناس عليها؟ فمن إذا وضع في عقولهم وإرادتهم كل ذلك؟ لست أنا، ولكنهم الكهنة! ما لي أنا بالزواج العرفي، والمسيار، والإبضاع، والمتعة، والتريض؟ أنا لا أعرفإلا الزواج والزنا، أما الباقي فهو اختراع الكهنة! ما لي أنا بكل هذه القباب المنتشرة فيها عرضا وطولا، مدعين أنهم أولياء الله؟ من أين جاءت هذه الولاية إلا من تضليل الكهنة لجمع أكبر عدد من المغيبين ليتسارعوا في دفع النذور في الصناديق؟ لو أنهم في الجنة، فما حاجتهم إلى النذور والمال؟ حتى لو لم يكن من الأولياء ومات وقبر وعفن وهلك، ما حاجته إلى النقود؟ إنها خدعة، وعزة الله ليس لي بها شأن، إنما هي من اختراع حراس المعبد!ثم من يزكي هذه القبور على الله ويقول إنه من أوليائك؟ أليس هذا كله تجرؤا على عالم الغيب والشهادة؟ والله إني بريء مما يصنعون!
بكى إبليس على نفسه التي أحس بضآلتها أمام قدرة البشر في التزييف والكذب، وانتهى إلى أنه ليس عليه

إلا أن ينفذ تعليمات حكيم الأرض والتي جاءته عن طريق كعبلون حكيم مجلسه.
ذهب إذا إلى حيث أشار إليه كعبلون من مدرسين خصوصيين لدراسة ستدوم ستة أشهر كاملة قبل أن يقابل الحكيم العظيم في المحروسة، فهذا أمر لا بد منه. وقد ظهر في مظهر فتاة في سن الورود، بملابس فيها رقة الذوق وجمال المظهر، دون تزيد في البهرجة أو الحداثة الأوروبية، دون تزيد في التشنج الديني من حيث الحجاب وغيره.
مر بدروس شتى بين مدرسين ومدرسات، وأساتذة اللغة واللكنات المصرية في ربوعها جميعا، وهو الكيس الفطن. كل شيء مر بهدوء، إلا مما أزعجه دائما من التحرش العلني به، بها، أقلها اقتناص القبل من الشفاه، وأكثرها إعلان الرغبة في ممارسة الجنس معها. وكان حريصا على الرفض برقة حتى يستطيع أن يلم بالمعرفة والعلم المتاح. ورغم أن معاونيه المستترين رغبوا في إيذاء بعضهم، رجالا أو نساء، فلمح لهم رافضا حتى ينهي برنامجه العلمي كاملا.
حتى إن سيدة فاضلة، أثناء دراسة علوم الفقه، أرادت التقرب منها نازعة حجابها في يومها الثاني، ومرتدية أفخر ما عندها من ملابس، عارضة أثدائها وكاشفة عن مفاتنها ومتقربة إليها: أهلاً وسهلاً حبيبتي لوسي، جيتي في ميعادك بالضبط. أنا تخوفت من تأخرك في المواصلات، وحياتك طول الليل بفكّر فيكي ومنمتش إلا الصبح، هل تكوني استوعبت أمس؟
ردت لوسي: بالطبع يا دكتورة إسعاد.
طلبت إسعاد أن تجلس لوسي لصيقة بها حتى تسمع جيدا ما يقال، متحسسة كل هنيهة بعضا من جسد لوسي، مرة بإلصاق رجلها بها أو اللعب بأصابع أرجلها، وتارة بوضع يدها على فخذها. وحين ترد لوسي بإجابة صحيحة على سؤال، تأخذها في أحضانها مقبلة إياها على خدها، محاولة الوصول إلى شفتيها ومشجعة لها. إلا أن لوسي كانت حريصة بلطف على أن تمنع وتتمنع في دلال، حتى صارت إسعاد كنار مشتعلة، وقد مسها هو، هي، بشيء من لمساته التي لا تحس في لحظتها.

د.م.إبراهيم شعبان



تسريبات من مقر إبليس (٥)

حتى انتهى درس اليوم على وعد بالغد، فودعتها سعاد وتركتها لوسي تقبلها عند الباب، فقبلتها قبلة فيها رصيد من الشهوة المكبوتة التي انطلقت من عنفوانها. حينئذ انسحبت لوسي من بين أحضانها وقبلاتها قائلة: أشوفك غداً يا دكتورة، وخرجت من الباب وأغلقته خلفها.

لكنها لم تخرج بعد من عقل إسعاد ولا من جسدها كله، فقد طغت عليها شهوة القبلة الأخيرة، ولم تعد ترى في عينيها بعد الالتحام مع الأسرة أمام التلفاز لا زوجها ولا أولادها، ولم تع ما يقولون، ولم تر إلا لوسي في أحضانها، مستحضرة كل ذهنها في هذه اللحظة.

جاء موعد الغد وانتظرتها إسعاد في الشرفة الخارجية في فيلتها الراقية في الحي السابع، بعد أن عادت من الكوافير وقد صنعت لها الآنسة هناك تسريحة جديدة خاصة بعد صبغ الشعر، وجملتها كأفضل من عروس اليوم. وكانت قد أخذت إجازة من العمل بحجة انشغالها في بعض البحوث، ولم تضغط على حجابها كما كانت تفعل عادة حتى لا تخل بالتسريحة الرائعة. جلست منتظرة بعد أن تعطرت بأرق العطور، وما إن رأت لوسي تهبط من السيارة الفارهة التي أقلتها حتى قامت متلهفة إلى لقائها: أهلاً وسهلاً حبيبتي لوسي، مستغربة السواد الذي ترتديه!

هبطت لوسي من السيارة مدعية الحزن، وهي التي قد قررت أن تعفي نفسها من الدروس مع إسعاد لأسباب شتى، منها ألا تغوص في علاقة رأتها في عيني دكتور إسعاد وفي تصرفاتها أيضا وهي لا تعي شيئا عن ماهية لوسي، وثانيا أنها أحست أنها تعلمت الكثير من تصرفات الإنس ومكنون أسراره التي قد لا تظهر أمام العامة ولكنها تظهر جلية في وحدته أو في انفراده مع من يتوهم أنه سيقبله كما هو بلا زيف.

هبطت من السيارة متوجهة إلى دكتور إسعاد بخطوات بطيئة وناظرة إلى الأرض، حتى إذا جاءتها ومدت يدها إليها مصافحة إياها، رفعت رأسها باكية منهمرة الدموع. تلقفتها إسعاد في أحضانها مهدئة لها ومتسائلة: ما الذي بدل لوسي إلى هذا الحد؟ لا بد أن هناك سببا موجعا هو الذي أخرج كل هذا الحزن. وما إن أحست بهدوئها شيئا حتى أبعدتها قليلا عن صدرها ناظرة في عينيها: ليه كده يا لوسي؟ فيه إيه بس؟ براحة على نفسك شوية، إيه اللي حصل؟



هنا بدأت لوسي في التلعثم بين البكاء ومحاولة الكلام عن كارثة ألمت بوالدها، حيث قتل غدرا من عصابات أرادت تصفيته لتستولي على تجارة البن في البرازيل، حيث إنه أكبر تجار البن البرازيلي وأكبر المصدرين الموثوق بهم، لعل تصفيته تفسح لهم المجال في أعظم تجارة للبرازيل وتفكك تحالفه مع المنتجين وصغار التجار. وهي قد رأت ألا تترك أسرتها في هذه المحنة وستسافر فورا إلى وطنها لحضور الجنازة وترتيب البيت والتجارة مع أشقائها هناك ووالدتها وبعض أصدقاء الأسرة.

إسعاد: وهل وجدت تذاكر للسفر الآن؟

لوسي: مفيش مشكلة في السفر، الطائرة الخاصة بتاعة الوالد وصلت إلى المطار وستقلني ومعي بعض الأهل والأصدقاء.

ردت باختصار لتقطع الأسئلة التي يمكن أن تسألها إسعاد، ولكنها رغم ذلك سألتها: أجي أوصلك للمطار؟ متمشيش كده لوحدك، أنا هاجي معاكي.

أجابتها لوسي: لا، خليكي مستريحة، معايا مجموعة من الأقارب في السيارة ومتقلقيش حكون بخير، وإن شاء الله سأتصل بك بعد استقرار الوضع.

ودعتها إسعاد حتى ركبت السيارة، ورأت ثلاثة يبدو أنهم بودي جارد من ملابسهم وأجسامهم الضخمة ونظاراتهم السوداء. ودعتها داعية لها بالسلامة، لكن قلبها وذهنها لم يودعاها قط. من هذه الصغيرة التي حركت فيها كل هذه المشاعر دون أي تصرف فج منها؟ وكيف تصرفت هي هذه التصرفات معها وهي التي لم تنفعل كذلك حتى في سن المراهقة؟ لماذا أثرت لوسي عليها كل هذا التأثير وهي الوقورة دائما دون تكلف منها؟ من هي تلك التي تتحدث المصرية كأنها أمضت أعوامها القليلة في المحروسة وهي كما ترى من مكان بعيد حتى عن اللغة ومتحدثيها؟ ما هذا الثراء الفاحش الذي هي فيه؟ أسئلة كثيرة متراكمة لا تجد أي إجابة عليها، ظلت تملك ذهنها تحاول البحث عن أي جواب لها، ومع هذا ظلت وستظل تملك حيزا في وجدانها إلى أن يشاء الله.

كذلك رحلت لوسي سعيدة بإنهاء هذه المهمة، وقد عادت إلى طبيعتها إبليس في هيئة شاب في الثلاثينيات. وسعيد هو بانتهاء الستة أشهر من التوغل داخل مجتمع المحروسة وتعلم القراءة والكتابة، متفهما إلى حد كبير أشياء لم يكن يراها مسبقا في النفس



البشرية، التنوع والتناقض الرهيب بين الظاهر والباطن، والخلل النفسي الواضح بين الحق والباطل والصراع بينهما، وبين الخوف من المجتمع والرغبة المكبوتة داخله والتي يقتنصها كلما لاحت له الفرصة، جميعها منافذ وأبواب قد يكون له ولأعوانه وجود قوي فيها. لكن فلينتظر حتى يقابل حكيم المحروسة دكتور كعبلون، وقد قرب الموعد وعلى حكيم مجلسه أن يطلب منه موعدا لاستقباله.

جاء الموعد المرتقب مع الحكيم بالمحروسة، وظل إبليس تراوده الأفكار من هنا وهناك، تارة عما يمكن أن يكون في مقابلته مع هذا الرجل الأسطورةالذي سيتقابل معه ويستضيفه في مجلسه، وتارة أخرى عن علاقته بآدم وذريته من خلق رب العزة، وتارة ما تعلمه في الأرض أثناء الحج ووقوفه على جبل عرفات وتوسله إلى الله أن يعفيه من وعده، وما شاهده وسمعه من كبار القوم الحاجين إلى البيت الحرام والعمرة، وصلاته في ركن إبراهيم، ورؤيتهللحجاج وهم يقذفون صنما كأنه إبليس ويسبونه بكل الشتائم كأنه هو الذي دفعهم إلى المعصية!

وتذكر فتحه لعطارة بها ما بها من عطارة يستفيد منها من يطلب الأمانة والصدق والأخلاق وحسن الخلق فلم يقرب منها أحد، ثم عطارته الثانية وكان واضحا وضوح الشمس حتى إنه أسماها عطارة إبليس وفيها ما فيها من مغيبات المشاعر والأخلاق ومثيرات القدرة على الكذب وكل ما يسيء للبشر، إلا أنهم تزاحموا عليها تزاحم الذباب على الجيفة! وكذلك تزاحمهم على بيت الشيخ إبليس لجميع أنواع السحر فكا وربطا.

هذه إذا الروح البشرية، ما لي أنا بها؟ ما أنا إلا مشاهد للأحداث لم أتوغل داخلها، ولم تكن طيبة أصلا حتى أغير ما بها، هي كذلك خلقت من طين عفن، وهؤلاء جميعا نسل قابيل وليس منهم أحد من نسل هابيل! وحتى اليوم لم أر في حياتي إنسانا سمى ابنه هابيل التقي الورع المسالم، بل يسمون قابيل رغبة منهم أن يكون مفتريا ظالما وقاتلا أيضا!

على كل، سنجلس إلى الحكيم ونسمع ونعي ونتعلم أيضا.

حكايات لا تؤجل

فريحة المريمي

الوطن الذي نزرعه في قلوب أطفالنا



الوطن ليس خريطةً تُعلَّق على الجدران، ولا نشيداً يُردَّد في المناسبات فقط، بل هو شعورٌ عميق ينمو في القلب منذ الطفولة، ويكبر مع الأيام حتى يصبح انتماءً ومسؤوليةً ووفاءً لا ينتهي.

أ.فريحة المريمي



الوطن الذي نزرعه في قلوب أطفالنا

وحين نُعلِّم أطفالنا حبَّ الوطن، فنحن لا نُلقّنهم كلماتٍ محفوظة، بل نغرس في أرواحهم قيمة الأرض، وكرامة الإنسان، ومعنى أن يكون لهم وطنٌ يستحق الحب والحماية والبناء.

إن الطفل الذي ينشأ على احترام وطنه، سيكبر وهو يحترم مدرسته وشارعه وبيئته والناس من حوله. فالانتماء يبدأ من التفاصيل الصغيرة؛ من المحافظة على نظافة الطريق، واحترام العَلَم، والاعتزاز باللغة والتاريخ، والدعاء للوطن بالأمن والسلام، والشعور بالفخر بكل إنجاز يُرفع باسمه.

الوطنية الحقيقية لا تُبنى بالصوت العالي والشعارات فقط، بل تُبنى بالتربية الصالحة، والقدوة الحسنة. فالطفل الذي يرى والديه يتحدثان بمحبة عن الوطن، ويحترمان القانون، ويقدّران جهود المخلصين، سيتعلّم تلقائياً أن الوطن قيمةٌ عظيمة لا تُباع ولا تُهمَل.

علينا أن نقصّ على أطفالنا حكايات الأبطال والشهداء والمعلمين والأطباء وكل من خدم الوطن بإخلاص، حتى يدركوا أن الأوطان لا تُبنى بالحروب والكراهية، بل بالعلم، والعمل، والتسامح، والتكاتف. علينا أن نُعلّمهم أن الاختلاف لا يعني العداء، وأن الوطن يتّسع للجميع، وأن المحبة أقوى من الفرقة.

وفي زمنٍ أصبحت فيه الشاشات تسرق انتباه الأطفال، بات من الضروري أن نعيد ربطهم بجذورهم، وهويتهم، وتاريخ مدنهم، وتراثهم الجميل، وأن نجعلهم يشعرون بأنهم جزء من هذا الوطن، لا مجرد عابرين فيه.

إن غرس الوطنية في الأطفال ليس درساً مؤقتاً، بل مشروع حياة. فكل كلمة طيبة عن الوطن، وكل سلوك مسؤول، وكل قصة صادقة نرويها لهم، هي بذرة نضعها في قلوبهم، وستكبر يوماً لتصبح وعياً وانتماءً وحباً حقيقياً.

فلنزرع في أطفالنا وطناً لا يعرف الكراهية، وطناً يُحب العلم والرحمة والإنسان، وطناً يسكن القلوب قبل البيوت؛ لأن الأوطان العظيمة تبدأ دائماً من طفلٍ تعلّم كيف يُحب أرضه.



وكان للحديث بقية

شعر





م . محمود الفحام

م.محمود الفحام



إلي العشقِ عادَ وانهي خصامَه
وارسي علي وجنتيكِ هُيامَه

ورؤّضتِ قلباً عصِياً تأبّي
علي الحسنِ دوماً وشاء السلامه

لماذا لديكِ تضوّعَ شِعراً
و.شهداً وطِيباً والقي حُسامه ؟!

علي الخدّ طاف المَشوقُ الذي
من العشقِ جُنّ ويأبَي فِطامَه

هو القلب قد اوجعتهُ الأماني
فماذاق نوماً وعاف طعامَه

اري الجرحَ مهما تقاطرَ حزناً
إذا ماحنوتِ اتمّ التئامه

وغرْد طائركِ المُستهامُ
وحلّق شوقاً إلي مستهامه

وابحرتُ نحوكِ حتي رسوتُ
حرقتُ شراعي ورُمتُ الإقامه

تمردَ قلبي علي العشقِ لكن
رآكِ افاقَ وفضّ اعتصامَه

وكان يقولُ نذرتُ صياماً
وقلبُكِ افتي فأنهي صيامَه

إذا الحسنُ كانَ كحسنكِ يطغَي
تهادَي إليهِ الشموخُ ورامَه

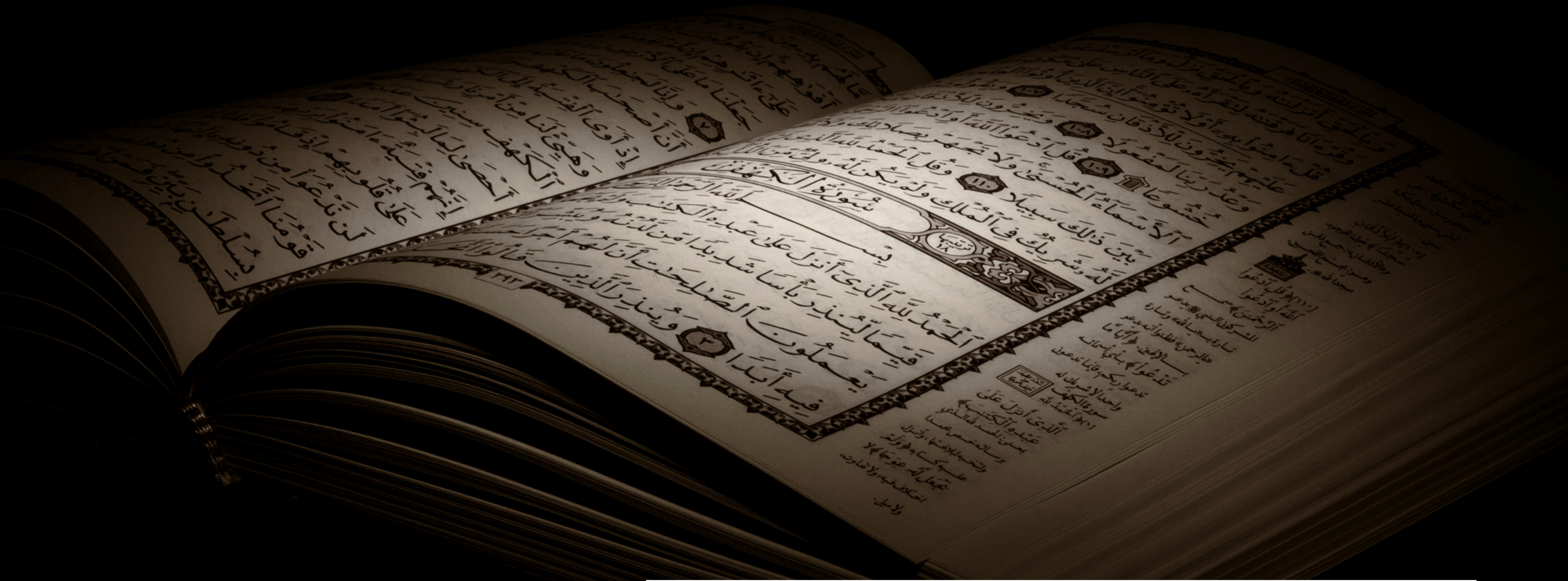
وعفواً رفاقي فإن الظمِيّ
رأي الرّيّ ينساب عذباً امامه

واعلمُ انّ فؤادي إذا ما
يقاتلُ يُبلي ويأبي انهزامه

وكيف ستُغري النجيماتُ ليلي
!وقد بلغ البدرُ فيكِ تمامَه ؟

اري القلبَ عانق فيكِ مرامَه
وفي مُقلتيكِ استبان غرامَه

وأرخيتُ كلْ ستائر حبي
وأُوقنُ انكِ صرتِ خِتامه



القرآن الكريم في مواجهة الاستهداف الممنهج

قراءة في الخلفيات السياسية والثقافية للإساءة المعاصرة.

د. علي المندلاوي - العراق



لم تعد الإساءات المتكررة للقرآن الكريم في السنوات الأخيرة أحداثاً معزولة أو تصرفات فردية يمكن تفسيرها ضمن إطار الاستفزاز العابر أو حرية التعبير بالمفهوم الغربي التقليدي، بل أصبحت تمثل ظاهرة منتشرة ومنظمة ذات أبعاد سياسية وثقافية وأيديولوجية واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، وترتبط بسياقات دولية معقدة، وتكشف عن حالة متصاعدة من العداء تجاه الهوية الإسلامية ورمزها المركزي المقدس المتمثل بالقرآن الكريم.

ومن خلال قراءة المشهد الدولي، يتضح أن بعض التيارات اليهودية المتطرفة، إلى جانب قوى يمينية غربية وشبكات إعلامية وثقافية مرتبطة بها وبدعم من الصهاينه بشكل مباشر، تتعامل مع القرآن بوصفه عقبة فكرية وحضارية أمام مشاريع الهيمنة على المسلمين وإعادة تشكيل الوعي العالمي وفق منظومات قيمية وسياسية محددة.



فالقرآن ليس بالنسبة لهذه الدوائر مجرد كتاب ديني يخص المسلمين، بل هو نص يمتلك قدرة مستمرة على صناعة الوعي الجمعي، وحفظ الهوية، وتحريك الشعوب، ومخاطبة العقول، وإنتاج حالة مقاومة فكرية وأخلاقية تجاه الاحتلال والاستكبار والاستبداد والانحلال القيمي.

الإسلاموفوبيا وصناعة العداء للقرآن الكريم

إن التصريحات العدائية التي صدرت خلال العقود الأخيرة عن سياسيين غربيين وشخصيات تنتمي إلى اليمين المتطرف وإلى الصهيونية العالمية، والتي وصفت القرآن بأوصاف تحريضية ومسيئة، لا يمكن فصلها عن البيئة السياسية التي تنمو فيها ظاهرة الإسلاموفوبيا. فقد تحولت الإساءة إلى القرآن لدى بعض القوى الغربية إلى أداة تعبئة انتخابية، كما حصل في هولندا والسويد والدنمارك. فعلى سبيل المثال، دعا السياسي اليميني المتطرف Geert Wilders في أكثر من مناسبة إلى حظر القرآن الكريم، واصفاً إياه بعبارات عدائية أثارت جدلاً واسعاً داخل أوروبا وخارجها، مستثمراً هذا الخطاب في تعزيز حضوره الانتخابي بين التيارات المناهضة للهجرة والإسلام، وكذلك وسيلة لإثارة المخاوف داخل المجتمعات الأوروبية من الحضور الإسلامي المتنامي، خصوصاً بعد تصاعد الهجرة والأزمات الاقتصادية وصعود التيارات الشعبوية.

وفي السياق ذاته، ظهرت ممارسات استفزازية متكررة، تمثلت بحرق نسخ من المصحف الشريف أو تمزيقها في عدد من الدول الأوروبية تحت حماية قانونية وأمنية من حكومات الدول الغربية، في مشهد يعكس ازدواجية واضحة في المعايير الغربية المتعلقة بحرية التعبير. فبينما تُجرَّم بعض أشكال الخطاب المرتبط بملفات تاريخية أو عرقية معينة، يُسمح بالإساءة إلى مقدسات أكثر من ملياري مسلم تحت ذرائع سياسية وإعلامية انتقائية، الأمر الذي يؤكد أن المسألة تتجاوز حدود الحرية إلى توظيف مدروس للاستفزاز الديني ضمن صراع الهويات العالمي.

البعد الصهيوني في استهداف المرجعية القرآنية

ولا يمكن تجاهل أن بعض الجماعات اليهودية المتطرفة المرتبطة بالمشروع الصهيوني العالمي تنظر إلى القرآن الكريم بوصفه

نصاً يقوض السردية التوراتية السياسية التي يسعى الاحتلال الإسرائيلي اللعين إلى ترسيخها في فلسطين المحتلة والمنطقة. فالقرآن يؤكد مركزية العدالة ورفض الاحتلال، ويمنح القضية الفلسطينية بُعدها العقائدي والإنساني. ولذلك فإن استهدافه يمثل، بالنسبة لتلك الجهات، محاولة لضرب المرجعية الروحية والثقافية التي تمنح الأمة الإسلامية حالة التماسك والزخم المستمر للدفاع عن قضيتها المركزية.

دوافع الإساءة المتكررة للقرآن الكريم

أما دوافع الإساءة المتكررة للقرآن الكريم، فتتوزع على مستويات متعددة ومختلفة:

أولاً: السعي إلى كسر الرمزية المعنوية للقرآن في وجدان المسلمين، باعتباره المصدر الأعلى للعقيدة والقيم والتشريع.

ثانياً: محاولة استفزاز المجتمعات الإسلامية ودفعها نحو ردود فعل انفعالية تُستثمر إعلامياً لتغذية صورة نمطية عن الإسلام باعتباره ديناً عنيفاً وغير قادر على التعايش.

ثالثاً: توظيف هذه الحملات في الصراعات السياسية الداخلية داخل الغرب، حيث أصبحت بعض القوى اليمينية تستخدم ملف العداء للإسلام كوسيلة لحشد الأصوات وكسب النفوذ والتقرب من اليهود.

القرآن الكريم بوصفه مشروعاً حضارياً عالمياً متكاملاً

غير أن خطورة هذه الحملات تكمن أيضاً في أنها تستهدف القرآن بوصفه مشروعاً حضارياً عالمياً متكاملاً، لا مجرد نص تعبدي. فالقرآن الكريم كان عبر التاريخ أساساً لبناء حضارة إنسانية واسعة امتدت من بغداد إلى الأندلس، وأسهمت في تطوير العلوم والفلسفة والطب والرياضيات والآداب. كما رسخ مبادئ العدالة والكرامة الإنسانية والتكافل الاجتماعي، ودعا إلى احترام العقل والحوار والتعارف بين الشعوب. ولهذا فإن استهداف القرآن هو في جوهره استهداف لمنظومة قيمية وأخلاقية ما تزال قادرة على التأثير في عالم يعيش أزمات روحية وأخلاقية متفاقمة.

القرآن الكريم ووحدة الأمة الإسلامية

إن القرآن الكريم بالنسبة للأمة الإسلامية ليس مجرد رمز ديني، بل يمثل عنصر الوحدة الأعمق بين شعوبها المختلفة، وهو الحافظ لهويتها الثقافية واللغوية والحضارية



في مواجهة مشاريع التفكيك والتبعية والطائفية. كما أنه بالنسبة لكثير من الشعوب غير المسلمة يشكل مصدراً معرفياً وأخلاقياً مهماً لفهم الإسلام الحقيقي، بعيداً عن التشويه الإعلامي الغربي الصهيوني والصراعات السياسية.

مسؤولية المسلمين في مواجهة حملات الاستهداف

وأمام هذا الواقع، تتحمل الأمة الإسلامية مسؤولية تاريخية تتجاوز ردود الفعل العاطفية المؤقتة. فالمطلوب اليوم انتقال المسلمين من دائرة الانفعال إلى دائرة الفعل الاستراتيجي المنظم. تبدأ هذه المسؤولية بإعادة بناء العلاقة الحقيقية مع القرآن عبر الفهم والتدبر والعمل، لا الاكتفاء بالمظاهر الشكلية من القراءة والحفظ. كما تتطلب إطلاق مشاريع فكرية وإعلامية عالمية لتعريف الشعوب بمضامين القرآن الحضارية والإنسانية والقيمية، بلغات وأساليب معاصرة قادرة على مخاطبة العقل الغربي بلغة المعرفة والمنطق.

وعلى المستوى السياسي والقانوني، ينبغي للدول والمؤسسات الإسلامية العمل بصورة جماعية لتدويل قضية الإساءة إلى المقدسات، والسعي الحثيث إلى اعتبارها شكلاً من أشكال التحريض على الكراهية الدينية ومعاداة المسلمين، أسوة بالتشريعات الدولية التي تُجرِّم خطابات الكراهية والعنصرية في قضايا أخرى مثل الهولوكوست (معاداة السامية). كما أن استخدام أدوات الضغط الثقافي والاقتصادي والدبلوماسي بصورة مدروسة بات ضرورة لحماية المقدسات الإسلامية من التحول إلى مادة للاستثمار السياسي والإعلامي.

خاتمة: معركة الوعي والهوية

وفي المحصلة، فإن استهداف القرآن الكريم ليس حدثاً منفصلاً عن طبيعة الصراع الفكري والسياسي القائم في العالم المعاصر، بل هو جزء من معركة أوسع تتعلق بالهوية والوعي والسيادة الثقافية. غير أن الأمة التي تمتلك كتاباً حافظ على حضوره وتأثيره عبر القرون، قادرة على تحويل محاولات الاستهداف إلى فرصة لإعادة اكتشاف قوتها الحضارية إذا امتلكت الوعي والوحدة والإرادة والعزيمة. ومن هنا فإن الدفاع الحقيقي عن القرآن لا يكون بالغضب المؤقت والانفعال اللحظي، بل ببناء مشروع معرفي وأخلاقي يعيد تقديمه للعالم أجمع بوصفه كتاب هداية وعدالة وإنسانية وسلام.

قلاع بين الرمال

هل كانت صحراء مصر الغربية بلا آثار



الأثري
عبدالله موسى لعشيبي



أ.عبدالله لعشيبي

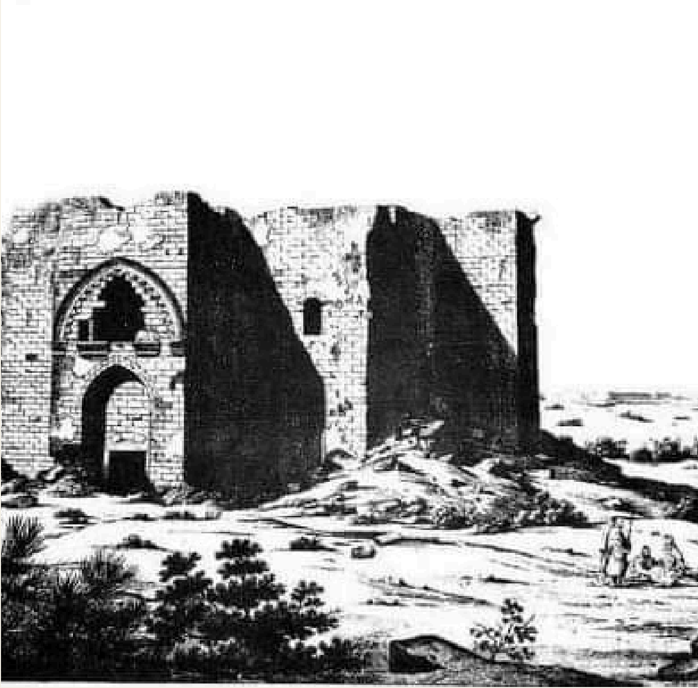
ليست الصحراء كلها أرضًا خالية قاحلة، نادرة السكان أو شحيحة الموارد الطبيعية، وليست تلك الأراضي المخفية بين الفيافيٍ والوهاد تختفي كالسراب وتملأ النفس خوفًا ووحشة كما تعلمنا في المدارس.

تبقى الصحراء، رغم كل ذلك، رمزًا للحياة ورونقها بالنسبة لنا كبارًا وصغارًا؛ فهي متنفس الحياة، والمكان الذي نجد فيه أنفسنا. نرتحل إليها تاركين هموم المدنية وضجيجها، كأننا ذاهبون إلى ملاذ نتناسى فيه الهموم ومشقات الحياة. فالصحراء هي حياتنا، وفيها موطننا وموطن آبائنا وأجدادنا وأسلافنا الأوائل، وفيها حيينا ومعيشتنا.

منذ بدء عملي مفتشًا للآثار الإسلامية والقبطية بمطروح قبل خمسة وعشرين عامًا، يساورني سؤال واحد لم أجد له إجابة إلا مؤخرًا، ألا وهو: لماذا لا توجد آثار ثابتة مدنية (دور أو قصور)، أو مبانٍ عسكرية (قلاع أو حصون)، أو دينيةً (مساجد أو أضرحة أو تكايا) على طول هذا الساحل؟ ألم يكن مسكونًا؟

ومن خلال عملي، قمت بإجراء مسح أثري شامل للساحل من «الحمام» شرقًا حتى «السلوم» غربًا، وكنت دائمًا أُصاب بخيبة أمل؛ إذ كانت معظم الاكتشافات تعود إلى العصر الروماني أو البيزنطي.

كيف يحدث هذا، وإقليم برقة —الذي يبدأ من غرب الإسكندرية وحتى بنغازي



كان من أهم الأقاليم في العصر الإسلامي بعد فتحه على يد عمرو بن العاص سنة 21-22 هـ، وضمّه إلى الدولة الإسلامية؟ وفيه دارت معارك شهيرة في زمن الفتوحات، ومنها موقعة «ذات الصواري» التي وقعت بالقرب من «رأس الحكمة» حاليًا. إلا أنني وجدت الإجابة في كتابات الرحالة والمستشرقين.

شهادات الرحالة والمؤرخين

رحلة العبدري (688 هـ / 1289 م)

قال العبدري في رحلته:».

«ومما يلي الإسكندرية من هذه الأرض العقبة الكبيرة، وبينها وبين الإسكندرية عشرة أيام، ثم العقبة الصغيرة وبينها وبين الكبيرة ستة أيام، ومنها إلى الإسكندرية أربعة أيام، وكلتاهما خلاء لا ساكن بها ولا مسكن. وأكثر مواضع هذه الأرض هكذا أسامٍ بلا مسميات، وeهي برية واحدة ممتدة إلى الإسكندرية



رحلة العياشي «ماء الموائد» (1663 م)
دوّن العياشي في رحلته:

«أرض برقة منقسمة في عرف أهلها على أقسام: أولها من حسان إلى وراء الأحمد بيومين يسمى سرت، ومن هناك إلى قرب المنعم يسمى برقة البيضاء، ومن هناك إلى سلوق يسمى برقة الحمراء، ومنه إلى التميمي يسمى الجبل الأخضر، ومنه إلى العقبة يسمى البطنان، ومن العقبة الكبرى إلى الصغرى يسمى بين الأعقاب، ومن العقبة الصغرى إلى الإسكندرية يسمى العقبة الصغرى».

الرحلة الناصرية (1196 هـ / 1782 م)
ورد في رحلة أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي:

«لقد كانت أراضي برقة مع اتساعها وقلة ساكنها ورطوبة أراضيها وطيب هوائها، وكثرة خصبها وجودة زرعها وقلة مرضها ونذور قومها، كثيرة القراض والخشاش من العقارب والحيات والخنافس والأحناش، لا تكاد تسير ميلاً أو فرسخًا إلا وتقع على قرية من القرى، وآبار ومآذن منقورة في الصلد من الحجارة نقرًا، وبيوتًا منحوتة. وكثيرًا ما يظهر الجن لمن تاه بها جهارًا، يسكنها أحياء من الجفاة لا يرى منهم الحاج ضررًا إلا في النادر، ألسنتهم باقية على أصلها لم تتبلبل، ولا عُرف نساؤهم في التبرقع قد تبدّل».

توضيح جغرافي:

- العقبة الكبرى: مدينة السلوم حاليًا.
- العقبة الصغرى: شرقي مطروح (رأس الكنايس)، أو ما يُعرف الآن بـ«رأس الحكمة».
- بين الأعقاب: المنطقة الممتدة من السلوم غربًا حتى مطروح شرقًا.

مرمريكا وبرقة

مرمريكا هو الاسم القديم لشبه الجزيرة المرمريكية (الجزء الشرقي من مدينة طبرق حاليًا). سُميت بهذا الاسم نسبة إلى إقليم مرمريكا، الذي سُمي بدوره نسبة إلى قبيلة «المارماريك» التي كانت تسكنه قديمًا. يمتد الإقليم المرمريكي من العامرية (غرب الإسكندرية) ويشمل سيوة والجغبوب وصحاريها، وحتى سوسة (غربي مدينة درنة)، ويشمل «عين مارة» و«القبة». وعاصمتاه هما طبرق ومطروح (العقبة).

ويسكن هذا الإقليم اليوم في القطر المصري قبائل «أولاد علي» بصفة عامة، وأحلافهم داخل الكونفدرالية القبلية لأولاد علي، و«السعادي البيض» داخل مرمريكا ككل، بالإضافة إلى «المرابطين البيض» داخل الإقليم. أما في القطر الليبي اليوم، فتسكنه قبائل أشهرها: المنفة، الشهيبات، الشواعر البيض، الشواعر الحمر، العبيدات البيض، العبيدات الحمر، القطعان، السعيطات، أحضور، درنة، والحاسة (في سوسة فقط).



تنقسم التربة في «مرمريكا» إلى تربة بيضاء وحمراء، كما هو الحال في «سيرنايكا» (برقة). وتبدأ التربة الحمراء من «مرتوبة» وحتى «سوسة»، وهي أرض مقدسة للمسيحيين، بل إن الإقليم بأكمله يحظى بمكانة لديهم بحكم أنه مسقط رأس القديس مرقص، بالتحديد في وادي لموش «الأثرون». ودائمًا ما حدث خلط بين هذه المنطقة (سيرنايكا ومرمريكا) بحكم التقارب في الحدود، كما يظهر في خريطة فرنسية رُسمت في القرن الثامن عشر.

لم يكن أهل الساحل بدوًا رُحّلاً عجزوا عن إنشاء مدن وتجمعات حضارية وسكنوا الخيام فحسب، بل أبدعوا في بناء القصور والقلاع والتحصينات. ولكن بسبب تمردهم الدائم على الولاة العثمانيين في القاهرة وعدم دفعهم الضرائب، أدى ذلك إلى دكّ قصورهم وحصونهم، بل واستدعى في النهاية تهجيرهم إلى مديرية البحيرة في عهد الوالي محمد علي باشا.

شهادات المستشرقين والمستكشفين :

- شهادة المستكشف الفرنسي ج. ريمون (1824 م)

يقول ريمون:

«هناك بنايات متواضعة في هذه المنطقة يقيمها البدو من الأحجار التي يقتلعونها من سفوح التلال أو من باطن الأرض ويخلطونها بالطين، أما الأسقف فتُغطى بتبن البحر بعد تجفيفه ومزجه بالطين والوحل. ويوجد على قمة التلة التي تحاذي الوادي بعض البقايا الأثرية لمبنيين لم يبقَ منهما شيء قائم سوى القواعد فقط، ويُدعى أحدهما (قصر بوسويطي)، وهو على اسم أحد شيوخ عشيرة العشيبات».

ويتابع قائلا :

«كنت قد ذكرت سابقًا أن مرسى بريك (مطروح) كانت آهلة بالسكان حين حولها أولاد علي مستودعًا لتجارتهم. ولخصوبة المنطقة وقربها من مرسى بريك، جذبت القصر والنجوع التي كانت تغطي آنذاك منطقة الساحل. وكان قصر بوسويطي محصنًا وسط تلك الأنقاض، غير أن تلك التحصينات تعرضت للدمار، كما لقي سكانها نفس المصير الذي لقيه سكان مرسى بريك إبان الكارثة التي ذكرتها آنفًا؛ إذ قام محمد علي باستدعاء الشيوخ وإجبار القبائل على الهجرة من مطروح إلى الإسكندرية ودمنهور، ثم قامت البوارج الحربية بقصف القصور والتحصينات التي أقامها العرب على الساحل».

ويصف في يوميات رحلته قائلاً:

«في اليوم السادس عشر، وبعد مسيرة ست ساعات في اتجاه شمال غرب القصبة الزرقاء (القصابة)، وصلت قافلتنا إلى مرفأ بحري ذي موقع جغرافي رائع. وعلى تلك الشواطئ الرملية المغطاة بوشاح من الطحالب، رأيت بقايا منخفضة لقرية صغيرة، لم أميز بين ذلك الحطام سوى سور كبير لبناية بارزة يحتوي على أحجار تعود إلى عصور قديمة. لقد تم تشييد ذلك المبنى من قبل العرب الحاليين باستخدام أحجار العالم القديم، وكان هذا المبنى – وفقًا لما ذكره دليل القافلة– يُستخدم كحصن عندما كان أولاد علي يحكمون هذه المنطقة، ويُعرف هذا المكان باسم (برتونيوم) أو (Paraetonium) وهو (مرسى مطروح حاليًا»

«كان العرب قد أحالوا هذا المرفأ المهجور إلى مستودع لتجارتهم، واستقر العديد من شيوخهم بالقرب منه... وكانت المناطق المحيطة بمرسى بريك موقعًا لمنتجعاتهم. لكن مشروعات الباشا المصري لم تكن تناسب النزعة الاستقلالية للقبائل البدوية؛ لذا عمل على تقويض ذلك الاستقلال، ولجأ إلى استخدام القوة تارة والدهاء تارة أخرى».

من أشهر الآثار الصحراوية في مرماريكا

1. قلعة العُميد (قلعة العمودين)

تتمتع «العُميد» أو «ذات العمودين» بتاريخ ممتد عبر العصرين الروماني والإسلامي. تقع على ساحل البحر على الطريق الواصل بين «ذات الحمام» (مدينة الحمام حاليًا) والعلمين.

سبب التسمية: ذُكرت في كتاب تاريخ السلطان الظاهر بيبرس، حيث أمر ببناء «قلعة العميدين ببرقة». وقد خرج بيبرس عام 672 هـ على رأس الجيش المملوكي لتثبيت الاستقرار في الإقليم وإقامة الحصون على طول الساحل.

ومر بها الرحالة المغربي العياشي عام 1690 م، ووصفها بأنها آبار عدة في صخر بساحل البحر، وبجوارها حصن مبني بإتقان.

كما زارها جان ريمون عام 1824 م ووصفها وصفًا دقيقًا، ونقل النقش التأسيسي الذي يذكر اسم السلطان الظاهر بيبرس.

سبب اختفاء القلعة: في عام 1873 م بُنيت منارة ملاصقة للقلعة، ويُقال إن بقاياها هُدمت لاستخدام حجارتها في بناء منزل حارس المنارة.

2. زاوية الأجداب (قصر إجدابيا)

يقع في منطقة «بقبق» بالسلوم (على بعد 12 كم جنوب الطريق الدولي). وصفه جان ريمون وتشارلز بلجريف بأنه حصن كبير له أسوار قائمة وبئر عميقة.

المراجع:

- يوميات المستشرق الفرنسي جان ريمون، 1824 م.
- مذكرات السير تشارلز بلجريف، 1920 م.
- أحمد حسنين باشا: الواحات المفقودة، 1922 م.
- عبد المنصف محمود: على ضفاف بحيرات مصر، 1967 م.

مجلة هلنا
العدد ٣٧ يوليو ٢٠٢٦







الفصل الرابع عشر

من كتاب

الواحات المفقودة

للرحالة الجغرافي أحمد حسنين باشا

الكتاب هو رحلة استكشافية محفوفة بالمخاطر في الصحراء المصرية الليبية

تقديم : عصمت ضيف الله الملهطاني



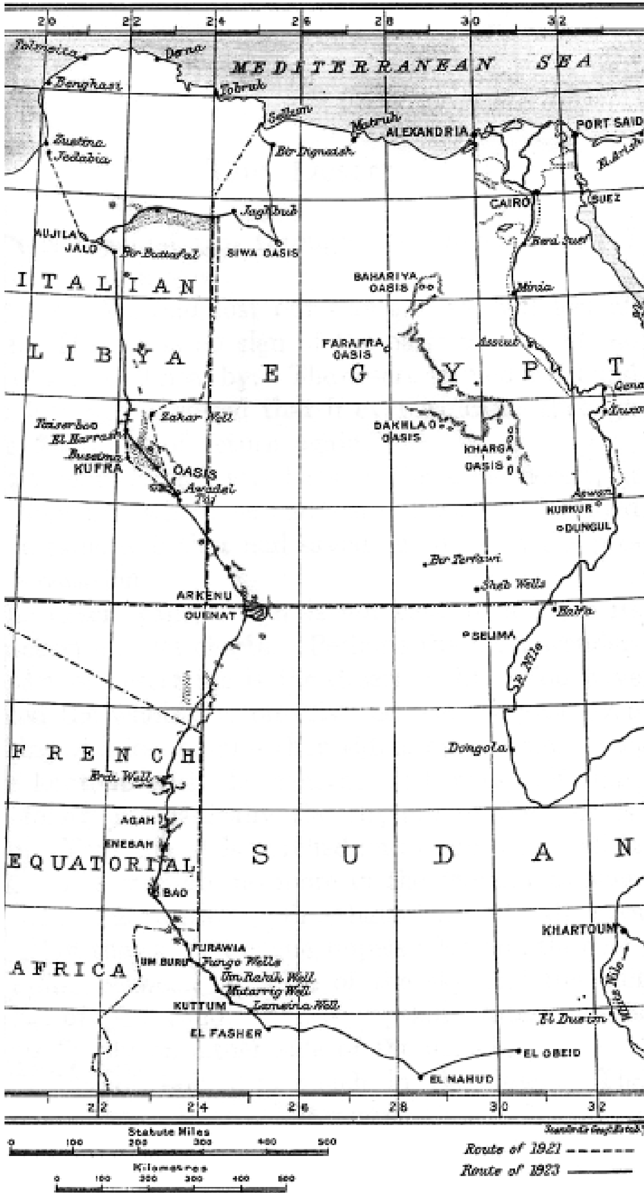
الكفرة وموقعها على الخريطة

الجمعة ٦ أبريل

أصبح الصباح فنفحني أريج باقة من الورد تفضل بإهدائها السيد العابد، فعلمت عند انتشاقها، كيف تكذب الصحراء اسمها أحيانًا، وكيف تزري أزهارها بما يينع في الرياض النضرة من مورق الأغصان.

وكان يوم جمعة فصليناها في المسجد، وكان حضور أمراء السنوسيين متوقعًا، ودخل البدو في أبهى ثيابهم، وغص المسجد بالمصلين الذين امتزجت في صفوفهم قفاطين الحرير بمهلهلات الجرود، ووقفت أتفرس الداخلين إلى المسجد، فرأيت كبار تجار الزوي والمجابرة، وقد لبسوا الثياب الفاخرة التي لم تنبسط بعد غضونها، من طول البقاء في الصناديق، ولمحت أعينهم المكحولة، وشممت عرف الداخلين يعبق منهم ماء الورد المقطَّر في الكفرة أو المسك، وسائر الروائح العطرية المستجلبة من السودان.

وكان يأخذني منظر الغني الجليل إذا دخل فأخذ مكانه بين المصلين وتبعه أعرابي مهلهل الجرد، أسمر الوجهِ مغضنه، ولكنه لا يقل عن سابقه جلالًا. إن الملابس لا تميز الرجال في تلك المحافل، فإن قَدْرَ الرجل في شرف النَّفْس وكبر القلب، وهذه الصفات تنطق في الجرود البالية بلسان أفصح عما تنطق به في ثياب الخز ونفحات الطيب التي قد تضيع شيئًا من شخصية أصحابها.



ويدخل أحد العبيد، وقد يكون صفيَّ أحد السنوسيين وموضع ثقته، وتكون ثيابه الحريرية من بهاء اللون وجَمال النسج بحيث تخفي مكانه من دائرة الرق، ويشعر بقوة مركزه، فيخترق صفوف المصلين تياهًا فخورًا، ويأخذ مكانه إلى جانب أحد الوجهاء أو أحد الشحاذين.

والغني والفقير سواسية في المسجد، وربما ثأر الفقراء لأنفسهم من الأغنياء في بيت الله الذي لا يهيمن فيه غيره، وشعروا بما يشعر به الأغنياء من العظمة أو فاقوهم في هذا الشعور.

علمًا منهم بأنهم لا ينغمسون في ترف الحياة ونعيمها، فيلهيهم زخرفها عن الله تعالى. وإن البدو ليدخل المسجد في جرده المهلهل لأداء الصلاة، كما يدخل الغني في أبهى ثيابه على شيوخ السنوسيين.

ويستعد المصلون بعد فراغ المؤذن فيغشاهم السكوت، ويدخل أمراء السنوسيين فيأخذون أماكنهم الخاصة، وتلتفت إليهم الأنظار فيظهر عليهم حياء الشباب، ولا يقوم لهم أحد في المسجد؛ إذ لا مولى في بيت الله إلا الله وحده لا شريك له، ثم يصعد الإمام المنبر، ويلقي الخطبة التي تتفق في مغزاها، مع سائر الخطب التي سمعتها قبل ذلك في صلاة الجمعة في مساجد الواحات التي وقع لي أن دخلتها.

ولا تخرج الخطبة عن النصح بترك حياة الغرور والترف، والتهيؤ لأداء العمل الصالح للحياة السعيدة في الآخرة، فيقول الخطيب: «اتركوا زينة الحياة الدنيا ومتاعها الغرور فإنهما سبيل إلى الغواية، وهما إن تملكا نفوسكم ضللتم سواء السبيل وَحِدْتُمْ عن سبيل الله، تقرَّبوا إلى الله بالعمل الصالح وأطيعوا أوامره، إن الحياة الدنيا فانية والآخرة خير وأبقى؛ فاعملوا لآخرتكم تسعدوا في دار الخلود.»

والمسجد من الداخل جميل البناء رائعه، وإن كان بسيطًا في بنائه، نظيف الجدران البيضاء العارية، مفروش بالسجاجيد والحصر الرقيقة، ويجلس المصلُّون بخضوع مُوَلِّين الوجوه شطر الكعبة في صفوف لا يقل عدد أفرادها عن مائتي مصلٍّ، يُسبِّح بعضهم بمسابح من حبَّات الكهرمان، ويسبِّح الفقراء الذين لا يملكون مسابح بواسطة قبض الأصابع وبسطها، ومنهم من يُظهر الغنى والثراء في جميع حركاته، ومنهم بدو الصحراء الضاربون بنظرات بعيدة يلوح فِيها الهدوء والقناعة، ومنهم من تقلَّص وجهه وشحب لونه، وفي هيئته السكينة والرضا بحكم الأقدار، يتوسَّم الناظرُ وجهَه فيراه قاب قوسين من الموت جوعًا، وهو لا يتمرَّد على القضاء ولا يتضجر من صروفه.

وجاءني سليمان أبو مطاري بعد فراغي من الغداء في منزل السيد العابد، فتحادث معي في أمر الرحلة، وأخبرني أنِ أبا حليقة ومحمدًا الذي اخترناه دليلًا قد تقابلا وأعادا الحديث في الأمر، ولم يزل أبو حليقة غير راضٍ بالرحيل، وقضى عبد الله ذلك اليوم في الجوف، يجمع ما يمكنه جمعه من المعلومات عن طريق العوينات، ويجتهد في البحث عمن يرضى بتأجير جماله لنا من قبيلة التبو للسفر إلى تلك الأصقاع المخوفة.

وتعشيت في منزل السيد العابد، ثم قضيت ردحًا من الزمن في مكتبة السيد إدريس، الذي أمر السيد الجداوي بفتح أبوابها لي.

والمكتبة غرفة متوسطة الحجم ملأى بالصناديق التي تحوي الكتب المختلفة، وسقفها مزين بالألوان الزاهية التي خطتها يد صانع محب للسنوسيين، جاء من تونس يؤدي خدمة، كما كان يقف المصورون والنحاتون حياتهم في القرون الوسطى على تزيين الكنائس، وكان كل ما في الغرفة من الأخشاب مستجلبًا من مصر أو بنغازي، وكان في الغرفة مفتوحة ليس فيها إلا مصراعان من الخشب يدفعان عنها حرارة الشمس. والتنقل في هذه الغرفة غير سهل لما صُفَّ على جدرانها وفي وسطها من الكتب والصناديق، وكان في الغرفة صناديق قديمة يُتَّخَذ منها خزائن، ويسهل حملها على ظهور الجِمال عند الحاجة، لما وُضِع في جوانبها من مقابض وحلقات، والمكتبة قليلة النظام كُدِّست فيها الكتب بغير عناية؛ لأن السيد إدريس هجرها طويلًا، وفيها عدد عظيم من المخطوطات المحفوظة في أغلفة من الجلد جميلة الصنع، وعدد عظيم من الكتب الحديثة المطبوعة في مصر والهند، وأكثر مخطوطات المكتبة مستجلبة من مراكش والجزائر وتونس، وكل ما فيها مكتوب باللغة العربية إلا القليل المكتوب بالفارسية، ومن بين المخطوطات بعض نسخ القرآن الكريم المزين بالذهب.

وكانت لي ميزة عظيمة على سائر الناس في زيارتي لهذه المكتبة؛ لأن الدخول إليها غير مباح، ووجدت فيها مخطوطات كثيرة كتبت على الرق وتناولت علوم الفلسفة واللغة العربية والفقه والتصوف والشعر وعلم النجوم والكواكب، وقضيت ساعات طويلة أمتع نفسي بتصفح هذه المجموعة القيِّمة، وأنعَم بذلك الجو الهادئ البعيد عن العالم، وأشعر كأني أتشبع بروح الأفكار الشائعة في هذه المخطوطات، والتقرب من اللّٰه عزَّ وجلَّ لما يحيط بي من السكينة، والانقطاع عن جلبة المدن، التي يكفي من مظاهرها دَقة تليفون تسمعه وأنت تقرأ هذه الكتب لتشعرك بقدم عهدها وعدم تمشيها مع الحاضر.

السبت ٧ أبريل

جاءني حذاء بديع هدية من السيد شروقه، وزارني بعض شيوخ الزوي فتحادثنا عند شرب الشاي في تاريخ قبيلتهم، وعرفت من الحديث أنهم لم يكونوا أول الفاتحين للكفرة، وإنما سبقهم إلى أخذها من قبائل التبو قبائل الجوازي والجهمه، وما اسما «الطلاب» و«الزرق» وهما قريتان من قرى الكفرة، إلا اسمان لبعض أسر قبيلة الجهمه، وأعطيت كلًّا ا منهم صورة للجماعة الذين صورتهم قبل ذلك بأيام، ففرحوا بها كثيرًا.

وتحققت في ذلك اليوم أخطار الكفرة، فقد أضاع رولف حياته فيها بفتك المهاجمين، وكدت أضيع حياتي أنا

الآخر ضحية الضيافة باللطف واللين، فقد تغديت كعادتي عند السيد العابد ذلك اليوم، وأتبعت الغداء بالشاي المعطر واللبن المخلوط باللوز، وخرجت، فأصرَّ السيد شروفه على زيارتي له في داره، وقدَّم لي ثلاثة أكواب من الشاي المعطر، وأردفها بمثلها من اللبن المخلوط باللوز، ولم أتمكن من الرفض؛ لأن في ذلك إهانة لرب الدار، فابتلعت ما في هذه الأكواب، رغم ما كنت أحس به من تقزُّز عند شربها.

ولم ينتهِ الأمر عند هذا، فقد دفعني السيد شمس الدين إلى داره، ووضع أمامي شيئًا كثيرًا من البسكويت والبندق وكوبًا كبيرة من الشراب الحلو، ودعاني للأكل، وليس لبشر أن يحتمل كل هذا، ولكن الرفض إساءة لرب الدار، فنلت منها وشربت ثلاثة فناجين من الشاي، ثم قمت أترنح في مشيتي بعد ذلك، كما يتقدم الشهيد إلى المشنقة فخورًا، وأتلوى من ألم التخمة، كما يتلوى الشاب الأسبرطي من قرص الثعلب في أحشائه.

وانقلبت إلى غرفتي أستريح وأستعرض ما مرَّ بي، وفكرت في أمر ذلك البدوي الذي انتخب رقم ثلاثة الغريب لإظهار الكرم البدوي، ووددت لو أنه مات قبل أن يبتدع هذه السنة، ثم رجعت فحمدت اللّٰه؛ لأنه لم يقع اختياره على الرقم سبعة.

وقد أقبلت على الصحراء معرضًا نفسي لفتك الطبيعة أو البدو من بني الإنسان، ولم يخطر ببالي لحظة فكرة الموت الذي ينشأ عن سوء الهضم وتكليف المعدة فوق طاقتها، ومع كل هذا، فقد ذهبت في الموعد المحدد إلى دار السيد العابد، لتناول العشاء كالعادة، وكان بين المدعوين بعض شيوخ البدو فتناقشنا مرة أخرى في أمر الرحلة إلى الجنوب، وكان أبو حليقة مصرًّا على رفضه الذهاب بطريق العوينات، وقد قال: «إن الشروط التي وضعها السيد إدريس تتناول رحلة إلى واداي لا إلى دارفور.» ولذلك أبى أن يرمي برجاله وجماله في تلك الطريق غير الآمنة.

وأدليت بحجتي كما يناقش المحامي، فقلت له: «أما وقد اتفقت معي على قطع ٣٥ مرحلة من الكفرة إلى الجنوب، فما الذي يضيرك إذا كنت أنزلك على السير إلى واداي أو الفاشر أو أطلب إليك العودة إلى مصر؟!»

ولم تقنعه حجتي، ولكنه رأى إصراري وعدم معارضة السيد العابد لخطتي، وعرف رغبتي في إنقاص عدد الجمال المتفق عليها فرضي غير قاطع في رضاه، ولكنه أبى أن يرافقني بنفسه أو يرسل معي أحد رجاله.

الأحد ٨ أبريل

حادثت أبا حليقة في أمر جواده واشتريته بمبلغ ٣٣ جنيهًا ذهبًا، وكان الجواد قويًّا صبورًا على السفر يكفيه الشرب مرة كل يومين.

وبعد تناول الغداء صورت السيد العابد وحادثته طويلًا في أمر مرضه الذي يتحمله بصبر البدو وجلدهم، وتكلمنا في شئون برقة ومصر وتناولنا ذكر رحلتي إلى السودان.

ولم أكن موفقًا في أعمالي الفنية بالكفرة، فإني وجدت صعوبة شديدة في عدم التعرض للأنظار والانتقال وحيدًا في نواحي الوادي لاستعمال أجهزتي بدون إثارة الظنون، وكان من سوء حظي أن السماء ظلت كثيرة الغيوم أيام إقامتي، فلم أتمكن من رصد الشمس والنجوم بواسطة التيودوليت، وشعرت بتعب شديد بعد العشاء، وكنت قد استنفدت الأقراص التي جئت بها لمكافحة سوء الهضم، وانتظرت بفارغ الصبر خروجي إلى الصحراء وتمتعي ببساطة العيش.

الاثنين ٩ إبريل

كان يومًا كثير الغيوم، ولكن نسيمًا بليلًا كان يهب طول النهار، فقضيت يومًا هادئًا أقرأ في مكتبة السيد إدريس وأحمض «أفلامًا» جديدة وأشتري قربًا وشعيرًا لأجل الرحلة، وأهداني السيد العابد نسخًا بخط يده لبعض رسائل السيد المهدي إلى كثير من الإخوان، وأهداني سكينًا مغربية في قِرَاب من الفضة وبندقية بديعة التطعيم.

الثلاثاء ١٠ أبريل

انقشعت السحب بعد الظهر، فأخذت صورة الوادي واتفقت مع صانع الأحذية على صنع أحذية لي ولرجالي، وعمل مناطق من الجلد لوضع الرصاص؛ لأن الرجال أصروا على حملها لما سمعوا من الإشاعات المخيفة، وقابلت محمد سكر الذي اخترته ليكون دليلنا في طريق العوينات لأول مرة ومالت إليه نفسي.

الأربعاء ١١ أبريل

سمع السيد العابد بشرائي الجواد، فأهداني سيفًا طارقيًّا وبندقية إيطالية، وأمكنني أخيرًا أن أقوم بعمل بعض أرصاد وأبحاث بواسطة التيودوليت، وكنت في شوق شديد إلى مقارنة نتائج بحثي بنتائج رولف الرحالة الألماني الذي زار الكفرة منذ ٤٥ سنة.

الخميس ١٢ أبريل

أرسلت إلى دار السيد العابد بندقيتي هدية وركبت مع السيد محمد أبي ثمانية والسيد الزروالي إلى الجوف، فقابلنا وجهاء المدينة وزرت السوق، وكان يوم انعقاده كل أسبوع، وزرت الجامع والزاوية، وهي أقدم مدارس السنوسيين في الكفرة، والجوف مركز تجارة الكفرة، وقد شاقني في السوق، رؤية ما اختلط فيها من البضائع

من «خراطيش» تدل علامتها على صنعها منذ ٣٠ سنة، وعلب تحوي توابل إيطالية مستجلبة من بنغازي، وأقمشة منسوجة في منشستر وواردة من مصر، وجلودًا وعاجًا وريش نعام من واداي ودارفور، وحاصلات الجنوب قليلة في الكفرة الآن، إلا إذا أحضرها أحد التجار من واداي ومنعه سبب من السفر بها إلى الشمال لبيعها في برقة أو مصر.

ولم تكن الكفرة ذات تجارة عظيمة إلا قبل فتح السودان، فإن سبيلها في تلك الأيام كانت أسهل لحمل محصولات واداي ودارفور من السبيل التي تفضي إلى الشرق، ولا يزال يمر بطريق التهريب إلى اليوم عاج إناث الفيلة، والعاج الذي يقل وزنه عن ١٤ رطلًا، وهما شيئان منعت حكومة السودان تصديرهما.

وليست الكفرة طريقًا للتجارة فحسب، وإنما يقصدها من يملك العبيد من شيوخ الزوي لفلاحة الأرض، فيزرعون الشعير والذرة، ويزرع السنوسيون البطيخ والعنب والموز والقرع، وغير ذلك من أنواع الخضر التي يسر السائح رؤيتها، ويلذه طعمها بعد حياة الصحراء، ويزرعون النعناع والورد، فيستخرجون منهما ماء الورد وخلاصة النعناع الضروريين في إظهار كرم الضيافة، ويستخرج الزيت من أشجار الزيتون بواسطة معصر عتيقة.

وحيوانات الكفرة: الجمال، والخراف، والحمير، وقليل من الجياد. واللحم مع هذا غالي الثمن لعدم وجود المراعي في الوادي، وتعيش الحيوانات على نوى البلح المطحون وهو غذاء صالح إلا أن إطعامها حشيشًا أخضر واجب من وقت لآخر، ويربي السنوسيون – وهم أكثر تقدمًا من جيرانهم في كل شيء – الفراخ والحمام.

وسمعت في الكفرة أن أثمان العبيد ارتفعت هائلًا في السنين الأخيرة لقلة من يرد منهم من جهات واداي؛ نظرًا لعين السلطات الفرنسية الساهرة في تلك الجهات، ويحتال بعض البدو لاستجلاب العبيد فيعقدون الزواج على بنات واداي، ثم يعودون بهن إلى الكفرة فيطلقونهن ويبيعونهن.

وقد عُرِضتْ عليَّ جارية أثناء سياحتي سنة ١٩١٦ بمبلغ ١٣٠ فرنكًا، ولكن ثمن الجارية يتراوح الآن بين ٣٠ و٤٠ جنيهًا، وثمن العبد أقل من ذلك.

وقد يتزوج البدو من هذه الجواري، فإذا أنجبت إحداهن ولدًا أصبحت حرة طليقة، والبدو لا يهتمون بفوارق الألوان، فإذا ولدت جارية لشيخ قبيلة ولده البكر، فإن هذا الولد يُصبح بحكم الواقع رأسًا لهذه القبيلة بعد أبيه مهما كان أسود اللون.

وأبناء العبيد عبيد كذلك، أما ابن الجارية من رجل حر فهو حر كذلك مهما كان فقيرًا، ولن يكون عبدًا ولو تركه أبوه يتيمًا.

واقتناء العبد المخلص شيء يفضله البدوي كثيرًا؛ فإن العبيد أقوى من الأحرار وأصون لسر سيدهم، وهم يُعامَلون معاملة حسنة ويصبحون أفرادًا من الأسرة بعد طول العشرة.

ويلبس العبيد ثيابًا فاخرة؛ لأنهم مرآة تتجلى فيها صور أسيادهم، وليس «علي كجا» عبد السيد إدريس الصفي موضع ثقته فحسب، ولكن له فوق ذلك قوة وسيطرة، لا يملكها الكثيرون من أحرار البدو.

والعبد صادق الكلمة، فإذا حمل السيد العابد رسالة إليَّ مع عبده أيقنت بصدقها عالمًا أن واجبه يقضي عليه بتبليغ ما حمله، وكذلك إذا أردت أن أبلغ مسامع السيد العابد شيئًا، لا أريد اطلاع رجل آخر عليه، أفضيت به إلى عبده بدون تردد موقنًا أن الرسالة لا بد مؤداة إلى سيده دون غيره.

وللعبد الحق في شراء جارية، وقد سألت «علي كجا» ذات مرة عن أثمان العبيد، فقال: «إنٍ أثمانهم غلت هذه الأيام غلاء فاحشا، فقد اشتريت جارية دفعت فيها ٤٠ جنيهًا ذهبًا، وقد قال لي ذلك بلهجة لا يُستشَفُّ منها أنه كان عبدًا في يوم من الأيام، وأَرَثُّ عبيد الواحة ثيابهم المُطلَقون، وهم موضع ازدراء بقية العبيد، وربما شعر العبد الطليق بالخجل لعدم وجوده في حيازة إنسان.»

والنخيل كثيرة في وادي الكفرة، وأكثره مِلك للسنوسيين، والسبب في ذلك أن الزوي حين دعوا سيدي ابن علي السنوسي إلى الكفرة نزلوا للسنوسيين عن ثلث ما يمتلكون من أرض ونخيل، ولم تبقَ النسبة محفوظة بين ما يملكه الزوي من النخيل وبين ما يملكه السنوسيون؛ فقد أسرع الأولون في زيادة نخيلهم بما زرعوا من جديد، ولا يزال يبدو لعين الرائي إلى هذه الأيام ذلك السور الذي يفصل أراضي السنوسيين من أراضي الزوي.

ورأيت في طريق عودتنا من الجوف حفلة زفاف، وكان العريس قائد جيوش الكفرة، ودعاني أبو العروس إلى تفريغ البارود تشريفًا للحفلة، فسرني أن أقوم بتأدية هذا الواجب للضابط؛ لأنه صديق قديم لي، ولما أطلق رجال الحفلة النار تحية، ركضت بجوادي كما يفعل البدوي الصميم، واتجهت صوب الجماعة، ثم أوقفته دفعة واحدة أمام العروس وصوَّبت بندقيتي إلى الأرض قدَّامها ثم أطلقت النار، وقد أدهشني جوادي «بركة» حين سمع طلقات بنادقهم وأسرع بالعدو ووقف بي مرة واحدة على المسافة المقدَّرة من العروس لإطلاق النار، ولا بدع في ذلك فهذا شيء تدربت عليه خيول البدو.



الجمعة ١٣ أبريل

جاءني عبد من عبيد السيد إدريس يطلب دواء لمرض لزمه شهرين، وفحصته فوجدته يشكو سوء هضم يتخلله قيء، وأعطيته بعض «الإتير» على قطعة من السكر، وأمرته أن لا يتناول إلا اللبن والأرز، فتحسنت حالته عن قبل.

ووصل أبو حليقة من الهواري ومعه ١٧ جملًا، فطلبت إليه أن يتمها خمسًا وعشرين كما اتفقنا من قبل، وزارني الضابط العريس وصهره يشكراني على ما أديت من التحية في حفلة الزفاف.

السبت ١٤ أبريل

أحضر أبو حليقة بقية الجمال، وكان حائرًا في أمر إرساله رجلًا يصحبنا في الرحلة، وأبى أن يرسل ابنه أو عبده؛ ظنًّا منه بأنا مقبلون على سفرة قد لا نخرج منها أحياء، وكان يتوقع من الجهة الأخرى أن القدَرَ قد يساعدنا وننجو من مخاوف الطريق، فحيَّره أن لا يمثله أحد في تلك الأصقاع النائية، فيعود بجماله أو يشرف على بيعها كما هي العادة بعد مثل هذا السفر الطويل، وقضينا عصر اليوم في التحميل ومساءه في عمل الأرصاد والمعاينات. وكانت الليلة ثالثة الليالي التي أمكنني فيها أن أرى نجم القطب الشمالي منذ هبوطي الكفرة، وقد صممت أن لا أترك الكفرة قبل أن أضاعف ما أخذت من الملاحظات المتنوعة في الليالي المختلفة.

الأحد ١٥ أبريل

قضينا الصباح في تحميلِ الجمال، وما زال أبو حليقة مرتبكًا في أمر إرساله رجلًا من رجاله، ولكني لم أهتم بأمره كثيرًا بعد يقيني من استصحاب الإبل، وقد تحسنت صحة العبد الذي تعهدته تحسنًا غريبًا، فجاءني يشكرني، وكنت أشد الناس تعجبًا مما وصلت إليه في شأن معالجته.

وبدأت القافلة السير في الساعة الثانية بعد الظهر قاصدة بئر العزيلة، وهي آخر آبار وادي الكفرة في الجغبوب، حيث قررنا الإقامة أيامًا لإجراء الترتيبات اللازمة، لتجهيز كل شيء قبل الإقدام على تلك الشقة الطويلة، واشتريت نعجتين لنحرهما طبقًا لعادة «أبي الظفر»؛ لأنه لم يكن بين رجال القافلة من قام بهذه الرحلة من قبل، وكان جميع رجالي في ثياب جديدة تُبهر النظر، وكانت بنادقهم التي أتقنوا تنظيفها تلمع فوق ظهورهم، وكان يبدو النشاط والقوة على العدد الأكبر من جمالنا الجديدة.

الاثنين ١٦ أبريل

أرسلت جوادي مع عبد اللّٰه إلى الجوف لوضع «حِدًى» له؛ لأني وجدت الأرض الصخرية صلبة الموطئ

يُخشى أن تؤذيه، وبعثت بصينية نحاسية إلى القائد هدية مني بمناسبة زواجه، وأرسلت الزجاجات الثلاث الأخيرة من دواء «بوفريل» لعبد السيد إدريس، وأجلنا سفرنا؛ لأن الدليل كان مشغولاً بقضية جمل له.

الثلاثاء ١٧ أبريل

أفطرت في دار سليمان بومطاري من كبار تجار زوي بالكفرة ومشهور بالكرم، وكان معنا السيد الزروالي وعبد اللّه والقومندان وصالح ومحمد أبي صمانية، وقد تبادل الجلوس النكات حول العريس الجديد لإمساكه عن الأكل من صحفة لحم مطبوخ بالبصل، وقال أبو ثمانية وهو يغمز بعينه: «إنهن لا يصفحن وهن شباب.» أي إن زوجته الجديدة لا تسامحه إذا شمَّت فيه رائحة البصل، واشتريت هجينًا لي خاصة، ودفعت فيها تسعة جنيهات، وهكذا انتهى كل شيء وأصبحنا على قدم الاستعداد للمسير.

وكنت أرجو، وأنا أرصد نجم القطب للمرة الأخيرة، أن أُوفَّق في تعيين الموضع الحقيقي للكفرة على الخريطة، وكان بي شوق شديد إلى التحقق من الموضع الذي عينه رولف لها حسب ملاحظات رفيقه «ستيكر» في بويمه، ولم تكن التاج قد بُنِيَتْ بعدُ في عهد رولف، فوضح لي بعد أن قمت بعمل ملاحظاتي الأولى فيها أن النتائج التي وصلتُ إليها، لا تتفق مع نتائج ملاحظات «ستيكر» في بويمه الواقعة على بعد كيلومترين من التاج في اتجاه ٥٤ درجة شرقي الجنوب الحقيقي؛ ولذلك صممت أن لا أترك الكفرة قبل أن أتمكن من عمل ملاحظات عديدة تمنعني من الوقوع في الخطأ؛ ولذلك رصدت النجم القطبي ست مرات بواسطة التيودوليت في ظروف قرر الدكتور بول في فقرته اللمعية المرفقة بهذا الكتاب أنها لا تترك مجالًا لخطأ أكثر من دقيقة واحدة في خطَّي الطول والعرض. وكانت نتيجة هذه الأبحاث عند الفراغ من فحصها بعد عودتي إلى مصر أن الكفرة تبعد ٤٥ كيلومترًا جهة الجنوب الجنوبي الشرقي عن الموقع الذي قرره لها رولف بعد ملاحظات «ستيكر»، ووجدت ارتفاع الكفرة شديدة الانطباق على ما قرره رولف، وكان علو وادي بويمه ٤٠٠ متر وارتفاع التاج ٤٧٥ مترًا عند التل المشرف على الوادي.

